عبد السلام البسيوني

aalbasuni@hotmail.com

حبوط الأعمال وبطلانها

رؤية قرآنية ونبوية وواقعية

الإهداء:

لكل من ضل سعيه.. وكل مفتون بخطاياه وجرائره

لكل مستعلٍ مدل بعقله وبمنهجه البعيد عن هدي الوحيين

وهو يحسب أنه يحسن صنعًا

أهدي هذه الورقات

لعل فيها عبرة لمعتبر.. أو ذكرى لمن كان له قلب

عبد السلام البسيوني

بسم الله الرحمن الرحيم

من الهدي الرباني:

(والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة، يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، ووجد الله عنده فوفاه حسابه، والله سريع الحساب) النور:39

من الهدي النبوي:

(أعوذ بالله من الحور بعد الكور) الترمذي والنسائي وغيرهما

مقدمة:

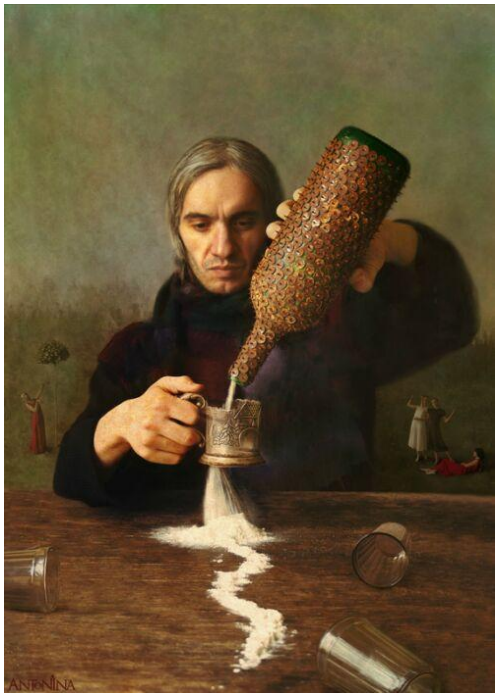

تخيل معي إنسانًا بخيلًا، يجمع المال ويجمعه ويجمع، سنة واثنتين وعشرين وأربعين، ثم يجيء لص فيسطو على ما كنز، ويضيع منه (شقا عمره) في لحظة واحدة؟ كيف سيحس!؟

تخيل معي إنسانًا يؤجر نفسه، ويكد بدنه، ويدخر أجره سنين وسنين، ليأخذه جزيلًا في نهاية خدمته، ثم يفاجأ بمستخدمه يقول له: عملك كله هزيل لا يستحق المكافأة، فاذهب لا أجر لك! كيف سيكون حاله؟!

تخيل معي إنسانًا يبتنى برجًا من ستين أو سبعين أو تسعين طابقًا، ويبذل فيه ماله وآماله، ويسهر على بنائه، ويواصل الليل بالنهار ليرفعه، ويؤنقه، ويزخرفه، ويطير به نحو السحاب، ثم تجيء هزة أرضية لتسقطه في ثوان معدودات، كيف سيكون حاله؟!

تخيل رجلا مترفًا، واسع الثراء، يضارب في بورصة، يكسب ويكسب ويكسب، وترتفع قيمة أسهمه ألف ضعف، أو مائة ألف ضعف، ثم تجيء هزة اقتصادية فتذهب بأسهمه كلها أدراج الرياح، ويضحي في ثانية مفلسًا، بلا مال، ولا عقار، ولا أسهم، ولا بيت، ولا دراهم يشتري بها فطورًا، ولا أحد يسانده، أو يقرضه، أو يتعطف عليه! كيف سيكون حاله!؟

هذا قارئي الحبيب مثل تقريبي، لا يرقى – بأي حال – لحال رجل يعبد، ويتعب، وينصب، ويسهر، ويعاني، ويبذل، ويقدم، ثم يأتي يوم القيامة ليجد عمله كله سرابًا، وهباء منثورًا، وسعيًا مأزورًا لا مأجورًا، ويقف في صف الوجوه العاملة الناصبة، التي تصلى نارًا

حامية، أو مع الثلاثة النفر الذين تسعر بهم النار أول ما تسعر، أو في ناحية المنافقين الذين هم يراؤون، ويظنون أنهم لربهم – تعالى – يخادعون!

- إن من الناس من يعبدون ربه العظيم، بغير سلطان أتاهم، ولا هدىً، ولا كتاب منير؛ فماذا لهم من أعمالهم؟!
- وإن من الناس من يملأ عمله الرياء وحب السمعة وحظ النفس؛ فماذا لهم من أعمالهم؟!
- وإن منهم من يعملون عمل المؤمنين وقلوبهم قلوب المنافقين عليمي اللسان؛ فماذا لهم من أعمالهم؟!
- وإن من (الناس من يعبد الله على حرف؛ فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه؛ خسر الدنيا والآخرة، ألا ذلك هو الخسران المبين)!
- وإن من غير المسلمين من يتقشف، ويتزهد، ويتجرد، ويحرم نفسه الزواج، والإنجاب، والنظافة، والأكل، والاختلاط بالبشر، والحياة البشرية الطبيعية، ثم هو على شُعب غبية من ضلالات، وتخرصات، وتخييلات وضعها الأحبار والرهبان، الذين يشرعون لأتباعهم ما لم يأذن به الله تعالى! فماذا لهم من أعمالهم؟!

(وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا).. يا الله.. هباء منثورًا/ (كسرابٍ بقيعة يحسبه الظمآن ماء؛ حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا)/ وجده باطلًا وقبض الريح!

يا إلهي: عناء وعناء، وليس بعده إلا منثور الهباء: لا قيمة، ولا وزن؛ إذ لا يُرى، ولا يؤثر! يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى في سلوك أولئكم:

إنه لم يقم على الإيمان، الذي يصل القلب بالله، والذي يجعل العمل الصالح منهجًا مرسومًا، وأصلًا قاصدًا، لا خبط عشواء، ولا نزوة طارئة، ولا حركة مبتورة لا قصد لها ولا

غاية. فلا قيمة لعمل مفرد لا يتصل بمنهج، ولا فائدة لحركة مفردة، ليست حلقة من سلسلة ذات هدف معلوم.

إن وجود الإنسان وحياته وعمله في نظرة الإسلام موصولة كلها بأصل هذا الكون، وبالناموس الذي يحكمه، والذي يصله كله بالله تعالى؛ بما فيه الإنسان، وما يصدر عنه من نشاط! فإذا انفصل الإنسان بحياته عن المحور الرئيسي الذي يربطه ويربط الكون، فإنه يصبح ضائعًا لا وزن له ولا قيمة، ولا تقدير لعمله ولا حساب؛ بل لا وجود لهذا العمل ولا بقاء.

والإيمان هو الذي يصل الإنسان بربه، فيجعل لعمله قيمة ووزنًا، ويجعل له مكانه في حساب هذا الكون وبنائه.

وهكذا تعدم أعمال أولئك المشركين (والمرائين، والمنافقين، والمبتدعة الضالين) تعدم إعدامًا يصوره التعبير القرآني تلك الصورة الحسية المتخيلة: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا)! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.... وبعد:

فهذه ورقات في حبوط العمل وبطلانه، من خلال الرؤية القرآنية الشريفة، والسنة النبوية الفخيمة، والرؤية الواقعية المتأملة، أرجو بها النفع، والبقاء، والأجر من رب السماء؛ سائلًا إياه سبحانه أن يرزقني الصدق والتجرد والتوفيق وحسن العاقبة، وأن يرضى عني وعن والدي وأهلي وذريتي ومشايخي وأحبتي؛ إنه سبحانه خير مسؤول، وصل اللهم وسلم وزد وبارك على سيدي رسول الله وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرًا..

عبد السلام البسيوني

الخامس من شوال 1434/ الموافق الثاني عشر من أغسطس 2013

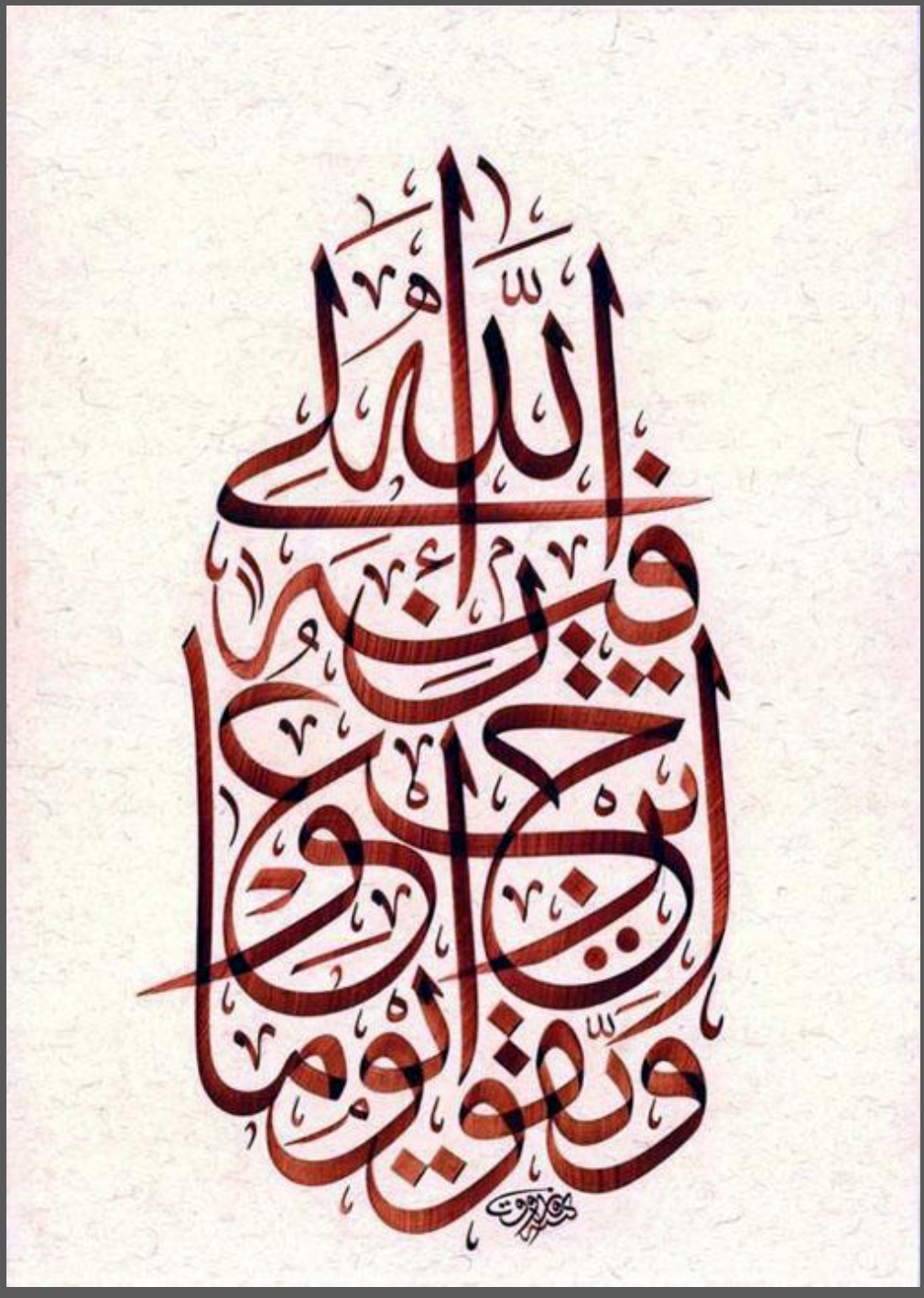

لوحة أنيقة بجلي الثلث للفنان الكبير محمد فاروق الحداد

مدخل تمهيدي:

يقع المؤمن العادي في الذنب، عالمًا أنه ذنب، يخزه به ضميره، وتزعجه عليه نفسه اللوامة! وأحيانًا يتمادى به الذنب حتى يستكثر منه، لكنه – ولا بد – يجد في نفسه نبضة تأنيب، وهزة إحساس بالتقصير..

هذا هو الإنسان الطبيعي، الذي يقع في دائرة الوعد بالرحمة والمغفرة – على ما كان من العمل – يقول تبارك وتعالى في سورة فاطر:32– (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا؛ فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير* جنات عدن يدخلونها، يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا، ولباسهم فيها حرير* وقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن؛ إن ربنا لغفور شكور* الذي أحلنا دار المقامة من فضله، لا يمسنا فيها نصب، ولا يمسنا فيها لغوب)!

لكن كثيرًا ما يَعمى الباطل عن حقيقة كونه باطلًا، ويرى نفسه الأولى والأعلى، والأكمل والأجدر بالاتباع – رغم خطئه وخطله، وعواره وتباره، وشره وأذاه – وهذا شيء مضطرد عبر التاريخ والواقع المعيش، فكثير من الأمم الهالكة اعتقدت أنها على الهدى، وأن أنبياءها الكرام على ضلالة وعمى؛ فآذوهم لذلك وأعنتوهم، وقتلوا منهم وحاربوهم!

وكثير من المصلحين والدعاة ورجال الفكر ووجهوا من الدهماء، والجهال، والمجرمين بتهم الفساد، والخيانة، والتأمر، بل والجهل، وعدم معرفة الإسلام، من أقوام لا يصلّون، ويفطرون جهرة في رمضان، ويقول أحدهم إن سيدي عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أحد الأربعة المبشرين بالجنة الكرام، وإن أمه التقية تحج أربع مرات في العام، وإن سورة طلع البدر علينا تجعل عينيه تدمعان!

ولأسلط الضوء – فقط – على موقف فرعون – عليه وعلى كل الفراعين لعائن الله وسخطه – فهو لغبائه، واغتراره، وظلمه، وسوء فهمه لمقام ربه تبارك وتعالى وقع في جملة سقطات فاحشة، يقع في مثلها الفراعين دومًا؛ دون أن يعتبروا بمصرعه:

- رفع نفسه لمقام الإله المعبود: (ما علمت لكم من إله غيري) القصص:38/ (فقال أنا ربكم الأعلى)! النازعات:24.
- هدد موسى عليه السلام بقتله رجمًا إن عبد غيره: (قال لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المرجومين)! الشعراء:29.
- تطاول على مقام الرب جل وعلا: (وقال فرعون ذروني أقتل موسى؛ وليدع ربه! إني أخاف أن يبدل دينكم، أو أن يظهر في الأرض الفساد) سورة غافر:26.
- كان – بحكم قوته وتملكه – مستعليًا مستكبرًا، يرى نفسه فوق الناس – هو وملؤه وحاشيته – (ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين* إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين* فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون!؟) سورة المؤمنون:45–47.
- كان يستعبد بني إسرائيل: (وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبّدت بني إسرائيل) الشعراء:22!
- وكان يستخف بشعبه، ويستهين بهم، ويسخرهم لمصالحه: (فاستخف قومه فأطاعوه؛ إنهم كانوا قومًا فاسقين) الزخرف:54!
- أراد أن يتحكم في القلوب وإيمانها: (قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم) الأعراف:123!
- استبد وفرض رأيه بالقهر، ظانًّا أنه أهدى سبيلًا وأرشد: (قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) سورة غافر:29.
- اعتبر النبيين عليهما السلام متآمرين عليه: (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة) سورة الأعراف:123.

- اتهمهما بالسعي لقلب نظام الحكم: (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها؛ فسوف تعلمون) الأعراف:123!
- عير سيدنا موسى عليه السلام بشيء في جسده: (ونادى فرعون في قومه، قال: ياقوم: أليس لي ملك مصر، وهذه الأنهار تجري من تحتي؟ أفلا تبصرون * أم أنا خير من هذا الذي هو مهين، ولا يكاد يبين) الزخرف:51–52!
- استخدم التعبئة وحشد الجماهير: (فأرسل فرعون في المدينة حاشرين) الشعراء:53!
- استخدم الحرب النفسية، وسلاح الشائعات وقلب الحقائق: (إن هؤلاء لشرذمة قليون* وإنهم لنا لغائظون* وإنا لجميع حاذرون) الشعراء:54–56!
- استخدم ضد النبيين عليهما السلام ومؤمني بني إسرائيل العنف والقتل والمطاردة: (قال سنقتل أبناءهم، ونستحيي نساءهم، وإنا فوقهم قاهرون) سورة الأعراف:127.
- اتهم موسى صلى الله وسلم بالسحر: (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات، فاسأل بني إسرائيل – إذ جاءهم – فقال له فرعون: إني لأظنك يا موسى مسحورًا* قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورًا) سورة الإسراء: 101–102!
- تبنى السحرة ورعاهم، واستخدم السحر والتضليل ضد النبيين عليهما السلام: (فألقوا حبالهم وعصيهم، وقالوا: بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) سورة الشعراء: 44.

ويجتهد المبطلون – كل زمان ومكان – في رد أهل الحق بأي شكل، إلى ما يدينون هم به من الباطل: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) البقرة:120، حتى على مستوى الوعد بحمل ذنوب المسلمين – لو كفروا – يوم الدين، واحتمال العذاب مكانهم: (وقال الذين كفروا للذين آمنوا: اتبعوا سبيلنا، ولنحمل خطاياكم؛ وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون* وليحملن أثقالهم، وأثقالًا مع أثقالهم، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) العنكبوت:12–13! قال في التحرير والتنوير:

هذا غرض آخر من أغراض مخالطة المشركين مع المؤمنين، وهو محاولة المشركين ارتداد المسلمين بمحاولات فتنة بالشك والمغالطة، للذين لم يقدروا على فتنتهم بالأذى والعذاب:

إما لعزتهم وخشية بأسهم مثل عمر بن الخطاب؛ فقد قيل إن هذه المقالة قيلت له،

وإما لكثرتهم حين كثر المسلمون، وأعيت المشركين حيل الصد عن الإسلام!

قالوا للمسلمين: لا نبعث نحن ولا أنتم، فإن عسى كان ذلك فإنا نحمل عنكم آثامكم.

وإنما قالوا ذلك جهلًا وغرورًا، حاولوا بهما أن يحجوا المسلمين في إيمانهم بالبعث؛ توهمًا منهم بأنهم إن كان البعث واقعًا فسيكونون في الحياة الآخرة كما كانوا في الدنيا: أهل ذمام، وحمالة، ونقض، وإبرام؛ شأن سادة العرب أنهم إذا شفعوا شفعوا، وإن تحملوا حملوا!

وهذا كقول العاصي بن وائل لسيدي خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنه: لئن بعثني الله ليكونن لي مال فأقضيك دينك، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: (أفرأيت الذي كفر بآياتنا، وقال: لأوتين مالًا وولدًا) وكل هذا من الجدال بالباطل، وهو طريقة جدلية، إن بنيت على الحق، كما ينسب إلى علي بن أبي طالب في ضد هذا:

زعم المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الأجساد قلت إليكما

إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما

هل يحبط العمل فعلًا أم هو محض افتراض؟!

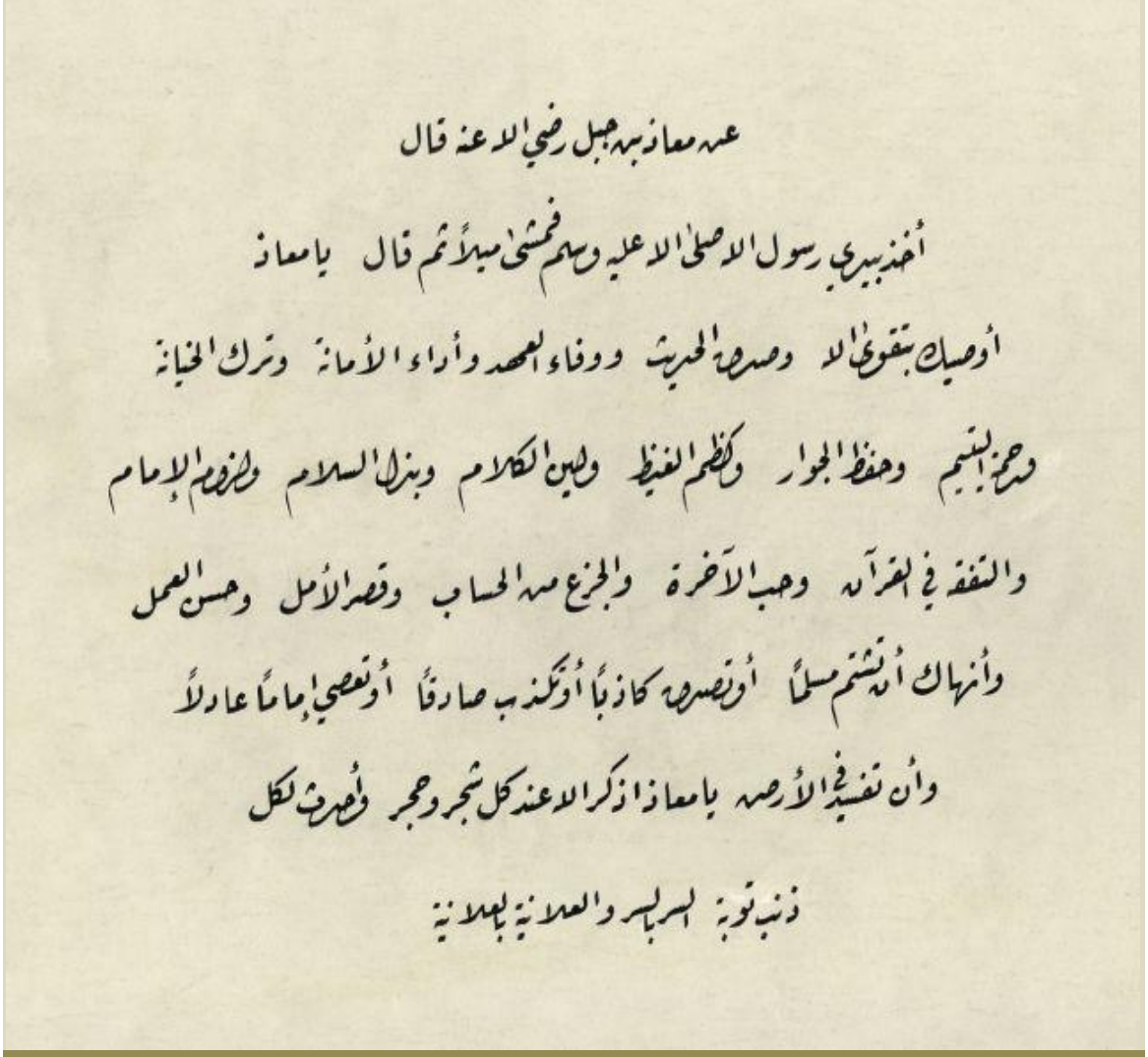
عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال

أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى ميلاً ثم قال يا معاذ

أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة

ورحم اليتيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام وبذل السلام ولزوم الإمام

والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الأمل وحسن العمل

وأنهاك أن تشتم مسلمًا أو تصدق كاذبًا أو تكذب صادقًا أو تعصي إمامًا عادلًا

وأن تفسد في الأرض يا معاذ اذكر الله عند كل شجر وحجر وأحدث لكل

ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية

لوحة أنيقة بخط الرقعة بقلم السوري محمد ماجد خياطة

هل يحبط العمل فعلًا أم هو محض افتراض؟!

آيات مروعة.. وحسرات مفزعة:

والخاسرون من البشر ممن حبطت أعمالهم، هم الأشد يوم الدين سؤالًا وحسابًا، ومؤاخذة وعذابًا – نعوذ بالله تعالى من مصيرهم – يقول الله تعالى عنهم: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالًا* الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا* أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، فحبطت أعمالهم؛ فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنًا) الكهف:104–105!

وفي سورة فاطر:8 يقول الله تبارك وتعالى: (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا! فإن الله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء؛ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، إن الله عليم بما يصنعون)!

فتأمل ما قال الله تعالى عنهم (في غير جذر حبط موضوع بحثنا):

● الصم البكم العمي: المنافقون الأغبياء المتذاكون:

حين تحدث القرآن الكريم عن المنافقون الذين يتفننون في تنويع جهودهم، ويصلون الليل بالنهار في الكيد للإسلام، معتقدين أنهم أذكياء، فطناء، موهوبون، وأن مَن أمامهم قوم يسهل استغفالهم، ومخادعتهم، ومهما نُصحوا أو نوقشوا تجدهم سادرين في غيهم، مصرين على باطلهم، مستمتعين بتلونهم ونفاقهم، أعقب بذكر عاقبتهم (السودا).. يقول المولى تبارك وتعالى في سورة البقرة: 8–20:

(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر؛ وما هم بمؤمنين* يخادعون الله والذين آمنوا، وما يخدعون إلا أنفسهم، وما يشعرون* في قلوبهم مرض، فزادهم الله مرضًا، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون* وإذا قيل لهم: لا تفسدوا في الأرض، قالوا: إنما نحن مصلحون* ألا إنهم هم المفسدون؛ ولكن لا يشعرون* وإذا قيل لهم: آمنوا كما آمن الناس، قالوا: أنؤمن كما آمن السفهاء؟ ألا إنهم هم السفهاء؛ ولكن لا يعلمون* وإذا لقوا

الذين آمنوا قالوا: آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: إنا معكم، إنما نحن مستهزئون* الله يستهزئ بهم، ويمدهم في طغيانهم يعمهون* أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى، فما ربحت تجارتهم، وما كانوا مهتدين* مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم، وتركهم في ظلمات لا يبصرون* صم، بكم، عمي؛ فهم لا يرجعون* أو كصيب من السماء، فيه ظلمات، ورعد، وبرق، يجعلون أصابعهم في إذانهم من الصواعق حذر الموت؛ والله محيط بالكافرين* يكاد البرق يخطف أبصارهم، كلما أضاء لهم مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاموا، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم، إن الله على كل شيء قدير)

وفي سورة الأنفال:36–37، يقول الله تبارك وتعالى: (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة، ثم يغلبون* والذين كفروا إلى جهنم يحشرون* ليميز الله الخبيث من الطيب، ويجعل الخبيث بعضه على بعض، فيركمه جميعًا، فيجعله في جهنم؛ أولئك هم الخاسرون)..

قال في تفسير المنار:

ويشمل اللفظ بعمومه ما سيكون مثل ذلك من الكافرين في كل زمن.

ذكر رواة التفسير عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم رضي الله عنهم: أن هذه الآية (36) نزلت في أبي سفيان، وما كان من إنفاقه على المشركين في بدر، ومن إعانته على ذلك في غزوة أحد وغيرها؛ ففي بعض الروايات أنه لما نجا بالعير بطريق البحر إلى مكة، مشى ومعه نفر من المشركين يستنفرون الناس للقتال، فجاء كل من كان لهم تجارة فقالوا: يا معشر قريش إن محمدًا قد وتركم، وقتل رجالكم، فأعينونا بهذا المال على حربه؛ فلعلنا ندرك منه ثأرًا، ففعلوا!

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: إنه استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش، من بني كنانة، يقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ سوى من استجاش من العرب! وفيهم قال كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه:

وجئنا إلى موج من البحر وسطه	أحابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف.. ونحن عصابة	ثلاث مئين.. إن كثرنا فأربع

وقال الحكم بن عتيبة في الآية: نزلت في أبي سفيان، أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من ذهب، وكانت الأوقية يومئذ اثنين وأربعين مثقالًا، هذا على ما كان معروفًا من بخل أبي سفيان، كما قالت زوجته يوم المبايعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

(إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) أي عن الإسلام واتباع خاتم الرسل، عليهم الصلاة والسلام. (فسينفقونها) في سبيل الشيطان صدًّا وفتنة وقتالًا (ثم تكون عليهم حسرة) وندمًا وأسفًا، لذهابها سدى، وخسرانها عبثًا؛ إذ لا يعطيهم ممن أراد الله هدايتهم أحد، (ثم يغلبون) المرة بعد المرة، وينكسرون الكرة بعد الكرة..

(والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) أي: يساقون يوم القيامة إليها دون غيرها كما أفاده تقديم الظرف على متعلقه. هذا إذا أصروا على كفرهم حتى ماتوا عليه، فيكون لهم شقاء الدارين وعذابهما!

ومن العبرة في هذا للمؤمنين أنهم أولى من الكفار ببذل أموالهم وأنفسهم في سبيل الله؛ لأن لهم بها من حيث جملتهم سعادة الدارين، ومن حيث أفرادهم الفوز بإحدى الحسنيين، هكذا كان في كل زمان قام المسلمون فيه بحقوق الإسلام والإيمان، وهكذا سيكون، إذا عادوا إلى ما كان عليه سلفهم الصالحون.

والكفار في هذا الزمان ينفقون القناطير المقنطرة من الأموال للصد عن الإسلام، وفتنة الضعفاء من العوام، بجهاد سلمي، أعم من الجهاد الحربي، وهو الدعوة إلى أديانهم، والتوسل إلى نشرها بتعليم أولاد المسلمين في مدارسهم، ومعالجة رجالهم ونسائهم في

مستشفياتهم. والمسلمون مواتون، يرسلون أولادهم إليهم، ولا يبالون ما يعملون (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)!

(ليميز الله الخبيث من الطيب) يعني أن الله تعالى كتب النصر والغلب والفوز لعباده المؤمنين المتقين، والخذلان والحسرة لمن يعاديهم ويقاتلهم من الكافرين للصد عن سبيل الله الذي استقاموا عليه، وجعل هذا جزاء كل من الفريقين ما داما على حالهما، فإذا غيرا ما بأنفسهما غير الله ما بهما!

جعل هذا جزاءهما في الدنيا، وجعل جهنم مأوى للكفار وحدهم في الآخرة؛ لأجل أن يميز الكفر من الإيمان، والحق والعدل من الجور والطغيان، فلن يجتمع في حكمته سبحانه الضدان، ولا يستوي في جزائه النقيضان!

● الرماد في اليوم العاصف:

ويقول الله تعالى في سورة إبراهيم عليه السلام:18: (مثل الذين كفروا بربهم: أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، لا يقدرون مما كسبوا على شيء؛ ذلك هو الضلال البعيد)!

قال في التحرير والتنوير: تمثيل لحال ما عمله المشركون من الخيرات؛ حيث لم ينتفعوا بها يوم القيامة،!

وقد أثار هذا التمثيل ما دل عليه الكلام السابق من شدة عذابهم، فيخطر ببالهم أو ببال من يسمع من المسلمين أن يسأل نفسه أن لهم أعمالًا من الصلة والمعروف: من إطعام الفقراء، ومن عتق رقاب، وقرى ضيوف، وحمالة ديات، وفداء أسارى، واعتمار، ورفادة الحجيج، فهل يجدون ثواب ذلك؟

وأن المسلمين لما علموا أن ذلك لا ينفع الكافرين تطلبت نفوسهم وجه الجمع بين وجود عمل صالح وبين عدم الانتفاع به عند الحاجة إليه، فضرب هذا المثل لبيان ما يكشف جميع الاحتمالات.

والمثل: الحالة العجيبة، أي: حال الذين كفروا العجيبة: أن أعمالهم كرماد.. إلخ.

فالمعنى: حال أعمالهم، بقرينة الجملة المخبر عنها لأنه مهما أطلق مثل كذا إلا والمراد حال خاصة من أحواله يفسرها الكلام، فهو من الإيجاز الملتزم في الكلام!

● الهباء المنثور:

ويالللحسرة حين يقدم آدمي بأعمال كثيرة يحسبها نافعة شافعة، ثم يجدها كرماد اشتدت به الريح فطوحته كل مطوح، وطرحته في كل مطرح، أو هباء لا وزن له ولا ثقل، ومنثورًا ليزيد خفة وعدم جدوى!

ففي سورة الفرقان:21-24 يقول تبارك وتعالى: (وقال الذين لا يرجون لقاءنا: لولا أنزل علينا الملائكة، أو نرى ربنا! لقد استكبروا في أنفسهم، وعتوا عتوا كبيرًا* يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين، ويقولون: حجرًا محجورًا* وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا* أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًّا، وأحسن مقيلًا).

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: (وقدمنا) وعمدنا (إلى ما عملوا من عمل، فجعلناه هباء منثورًا) أي: باطلًا لا ثواب له، فهم لم يعملوه لله عز وجل!

واختلفوا في الهباء:

قال علي: هو ما يرى في الكوة إذا وقع ضوء الشمس فيها كالغبار، ولا يمس بالأيدي، ولا يرى في الظل، وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد، والمنثور: المتفرق.

وقال ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير رضي الله عنهم: هو ما تسفيه الرياح، وتذريه، من التراب وحطام الشجر.

وقال مقاتل: هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير.

وقيل: الهباء المنثور ما يرى في الكوة، والهباء المنبث: هو ما تطيره الرياح من سنابك الخيل.

● السراب اللامع بأرض قيعة.. وحصاد الخيبة:

والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة، يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، ووجد الله عنده فوفاه حسابه، والله سريع الحساب، أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور) النور:39–40.

قال صاحب الظلال رحمه الله تعالى:

والتعبير يرسم لحال الكافرين ومآلهم مشهدين عجيبين، حافلين بالحركة والحياة. في المشهد الأول يرسم أعمالهم كسراب في أرض مكشوفة مبسوطة، يلتمع التماعًا كاذبًا، فيتبعه صاحبه الظامئ، وهو يتوقع الري؛ غافلًا عما ينتظره هناك!

وفجأة يتحرك المشهد حركة عنيفة؛ فهذا السائر وراء السراب، الظامئ الذي يتوقع الشراب، الغافل عما ينتظره هناك، يصل فلا يجد ماء يرويه، إنما يجد المفاجأة المذهلة التي لم تخطر له ببال، المرعبة التي تقطع الأوصال، وتورث الخبال: (ووجد الله عنده) الله الذي كفر به وجحده، وخاصمه وعاداه!

وجده سبحانه عنده ينتظره؛ ولو وجد في هذه المفاجأة خصمًا له من بني البشر لروّعه، وهو ذاهل غافل على غير استعداد، فكيف وهو يجد الله القوي المنتقم الجبار؟

(فوفاه حسابه) هكذا في سرعة عاجلة، تتناسق مع البغتة والفجاءة (والله سريع الحساب) تعقيب يتناسق مع المشهد الخاطف المرتاع!

وفي المشهد الثاني تطبق الظلمة بعد الالتماع الكاذب؛ ويتمثل الهول في ظلمات البحر اللجي: موج، من فوقه موج، من فوقه سحاب!

وتتراكم الظلمات بعضها فوق بعض، حتى ليخرج يده أمام بصره، فلا يراها لشدة الرعب والظلام!

إنه الكفر، ظلمة منقطعة عن نور الله الفائض في الكون، وضلال لا يرى فيه القلب أقرب علامات الهدى، ومخافة لا أمن فيها ولا قرار..

(ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور) ونور الله هدى في القلب؛ وتفتح في البصيرة؛ واتصال في الفطرة بنواميس الله في السمووات والأرض، والتقاء بها على الله نور السموات والأرض. فمن لم يتصل بهذا النور فهو ظلمة لا انكشاف لها، وفي مخافة لا أمن فيها، وفي ضلال لا رجعة منه!

ونهاية العمل سراب ضائع يقود إلى الهلاك والعذاب؛ لأنه لا عمل بغير عقيدة، ولا صلاح بغير إيمان!

إن هدى الله هو الهدى، وإن نور الله هو النور!

ذلك مشهد الكفر والضلال والظلام في عالم الناس، يتبعه مشهد الإيمان والهدى والنور في الكون الفسيح. مشهد يتمثل فيه الوجود كله، بمن فيه وما فيه، شاخصًا يسبح لله، إنسه وجنه، أملاكه وأفلاكه، أحياؤه وجماده.

وفي الآيتين قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره:

نزلت في شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، كان يترهب متلمسًا للدين، فلما خرج صلى الله عليه وسلم كفر!

قيل: في أهل الكتاب! وقيل: في أعمال الخير للكافر؛ كصلة الرحم ونفع الجيران.

(والسراب): ما يرى نصف النهار في اشتداد الحر، كالماء في المفاوز يلتصق بالأرض. والآل الذي يكون ضحى كالماء إلا أنه يرتفع عن الأرض حتى يصير كأنه بين

الأرض والسماء. وسمي السراب سرابًا لأنه يسرب أي يجري كالماء. ويقال: سرب الفحل أي مضى وسار في الأرض. ويسمى الآل أيضًا، ولا يكون إلا في البرية والحر فيغتر به العطشان.

والقيعة جمع القاع؛ مثل جيرة وجار؛ وقال أبو عبيدة: قيعة وقاع واحد؛ حكاه النحاس. والقاع ما انبسط من الأرض واتسع، ولم يكن فيه نبت، وفيه يكون السراب.

وأصل القاع الموضع المنخفض الذي يستقر فيه الماء، وجمعه قيعان.

(يحسبه الظمآن) أي العطشان (ماء) أي يحسب السراب ماء. حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا مما قدره، ووجد أرضًا لا ماء فيها.

وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار، يعولون على ثواب أعمالهم، فإذا قدموا على الله تعالى وجدوا ثواب أعمالهم محبطة بالكفر؛ أي لم يجدوا شيئًا كما لم يجد صاحب السراب إلا أرضًا لا ماء فيها؛ فهو يهلك أو يموت.

ووجد الله عنده أي وجد الله بالمرصاد، فوفاه حسابه أي جزاء عمله.

وقيل: وجد وعد الله بالجزاء على عمله.
وقيل: وجد أمر الله عند حشره؛ والمعنى متقارب.

● الحمقاء التي تنقض غزلها بعد إبرامه:

وهذا مثل آخر عجيب لحبوط العمل، يبذل الإنسان جهده في صنع شيء، ثم ينعطف عليه نقضًا، وهدمًا، وإفسادًا، كتلك الحمقاء الخرقاء التي ضرب بها المثل:

يقول الله تبارك وتعالى في سورة النحل: (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها، من بعد قوة، أنكاثًا، تتخذون أيمانكم دخلًا بينكم، أن تكون أمة هي أربى من أمة، إنما يبلوكم الله به، وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون)!

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: شبهت هذه الآية الذي يحلف، ويعاهد، ويبرم عهده ثم ينقضه، بالمرأة تغزل غزلها، وتفتله محكمًا، ثم تحله!

ويروى أن امرأة حمقاء كانت بمكة، تسمى ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، كانت تفعل ذلك، فبها وقع التشبيه!

وأنكاثًا: نصب على الحال. والدخل: الدغل والخديعة والغش. قال أبو عبيدة: كل أمر لم يكن صحيحا فهو دخل.

وفي الآية قال صاحب الظلال عليه رحمات الله ورضوانه:

فمثل من ينقض العهد مثل امرأة حمقاء ملتاثة، ضعيفة العزم والرأي، تفتل غزلها ثم تنقضه، وتتركه مرة أخرى قطعًا منكوثة ومحلولة!

وكل جزيئة من جزئيات التشبيه تشي بالتحقير والترذيل والتعجيب، وتشوه الأمر في النفوس وتقبحه في القلوب؛ وهو المقصود.

وما يرضى إنسان كريم لنفسه أن يكون مثله كمثل هذه المرأة الضعيفة الإرادة، الملتاثة العقل، التي تقضي حياتها فيما لا غناء فيه!

وكان بعضهم يبرر لنفسه نقض عهده مع الرسول صلى الله عليه السلام بأن محمدًا ومن معه قلة ضعيفة، بينما قريش كثرة قوية؛ فنبههم إلى أن هذا ليس مبررًا لأن يتخذوا أقسامهم غشًّا وخديعة فيتخلوا عنها: (تتخذون أيمانكم دخلًا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة) أي بسبب كون أمة أكثر عددًا وقوة من أمة، وطلبًا للمصلحة مع الأمة الأربى.

ويدخل في مدلول النص أن يكون نقض العهد تحقيقًا لما يسمى الآن "مصلحة الدولة" فتعقد دولة معاهدة مع دولة أو مجموعة دول، ثم تنقضها بسبب أن هناك دولة أربى، أو مجموعة دول أربى في الصف الآخر، تحقيقًا لمصلحة الدولة!

فالإسلام لا يقر مثل هذا المبرر، ويجزم بالوفاء بالعهد، وعدم اتخاذ الأيمان ذريعة للغش والدخل؛ ذلك في مقابل أنه لا يقر تعاهدًا ولا تعاونًا على غير البر والتقوى، ولا يسمح بقيام تعاهد أو تعاون على الإثم والفسوق والعصيان، وأكل حقوق الناس، واستغلال الدول والشعوب!

وعلى هذا الأساس قام بناء الجماعة والدولة الإسلامية، فنعم العالم بالطمأنينة والثقة والنظافة في المعاملات الفردية والدولية، يوم كانت قيادة البشرية إلى الإسلام.

والنص هنا يحذر من مثل ذلك المبرر، وينبه إلى أن قيام مثل هذه الحالة: (أن تكون أمة هي أربى من أمة) هو ابتلاء من الله تعالى لهم، ليمتحن إرادتهم ووفاءهم وكرامتهم على أنفسهم، وتحرجهم من نقض العهد الذي أشهدوا الله عليه: (إنما يبلوكم الله به)!

ثم يكل أمر الخلافات التي تنشب بين الجماعات والأقوام إلى الله في يوم القيامة للفصل فيه: (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) يمهد بهذا لترضية النفوس بالوفاء بالعهد حتى لمخالفيهم في الرأي والعقيدة!

• وآه من البدعة محبطة العمل:

والبدعة في الدين فيما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (هي ما لم يشرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب) مما يقصد به التدين والعبادة!

فالدين لا يزاد فيه، ولا يخترع له، ولا ينسب له ما ليس منه، استحسانًا، أو عصبية، أو لأسباب أخرى، فالله تعالى أتم على النعمة، وأكمل الملة، ومحمد صلى الله عليه وسلم تركنا على محجة بيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك!

وفي الصحيحين عن سيدتي أم المؤمنين ام عبد الله عائشة رضى الله عنها مرفوعًا: (من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وفى رواية لمسلم: (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد)!

• ويالحسرة الظلمة منتهكي حقوق المسلمين:

وهذا البلاء مما سيدمر ما فعله بعض الجبابرة من خير، وأكثرهم لا يحرص إلا على عمرة أو حجة، أو بناء مسجد، فهذا هو الإسلام في ظنهم، وليفعلوا بعد ذلك ما يشاؤون! فتراهم يعيثون في الأرض فسادًا، يهدمون قواعد الإسلام، ويستبيحون الحرمات، وينهبون الأموال، ويظلمون الخلق، ويستبيحون دماءهم وأموالهم وأعراضهم، واثقين أن علاقتهم بالله تعالى قوية، وأن قلوبهم (نظيفة) وطاهرة!

وقد ورد في البخاري وغيره عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: (من كانت له مظلمة لأخيه – من عرضه أو شيء – فليتحلله منه اليوم، قبل ألا يكون دينار ولا درهم؛ إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)

وورد في مسلم وغيره عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: (أتدرون من المفلس)؟ قالوا: المفلس فينا: من لا درهم له ولا متاع!

فقال صلى الله عليه وآله وصحبه: (المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام، وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)!

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه على مسلم:

معناه أن هذا حقيقة المفلس، وأما من ليس له مال، ومن قل ماله، فالناس يسمونه مفلسًا، وليس هو حقيقة المفلس؛ لأن هذا أمر يزول، وينقطع بموته، وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته!

وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث؛ فهو الهالك الهلاك التام، والمعدوم الإعدام المقطع، فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم، فوضع عليه، ثم ألقي في النار، فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه!

قال المازري: وزعم بعض المبتدعة أن هذا الحديث معارض لقوله تعالى: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وهذا الاعتراض غلط منهم وجهالة بينة؛ لأنه إنما عوقب بفعله ووزره وظلمه، فتوجهت عليه حقوق لغرمائه، فدفعت إليهم من حسناته، فلما فرغت وبقيت بقية قوبلت على حسب ما اقتضته حكمة الله تعالى في خلقه، وعدله في عباده، فأخذ قدرها من سيئات خصومه، فوضع عليه، فعوقب به في النار!

فحقيقة العقوبة إنما هي بسبب ظلمه، ولم يعاقب بغير جناية وظلم منه، وهذا كله مذهب أهل السنة. والله أعلم.

وقد جمعت طائفة مهمة في كتابي (لماذا لا يجاب دعاؤنا) فارجع إليه فإنه مكمل لهذا البحث، وإن كان سابقًا عليه، نسأل الله تعالى القبول والعافية.

مدخل لغوي!

لا بد في هذا المقام من توضيح المراد من العمل، ومن الحبوط، وعكسه (القبول)؛ لندلف عبر الحدود اللغوية إلى مرادنا:

فأما العمل هنا فنريد به كل ما يؤدي إلى مرضاة الله تعالى من كسب القلوب، أو الألسنة، والجوارح، بل أحيانًا الخطرات، وما يحدِّث به الإنسان نفسه، مما يرصده الملكان، ويسجلانه في كتاب ابن آدم، كل ابن آدم!

والقبول هو وقوع العمل موقع الرضا من الله تعالى بتحقيقه أسبابه: الإخلاص، والاتباع، وبذل المكلف همته في الأداء ما استطاع..

ولن يقبل عمل عامل إلا إذا اعتمد الإخلاص والمتابعة أساسًا ومنطلقًا؛ يقول الله تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين، حنفاء، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة...) البينة:5، وفي النسائي بإسناد جيد: (إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا، وأريد به وجهه سبحانه)!

وأما حبوط العمل فضد قبوله، وهو بطلانه، وعدم تحقق المراد منه:

يقال: حبط عمله؛ إذا فسد، بطل وذهب سدًى: كقوله تبارك وتعالى: (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر، فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقوله عز من قائل: (أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وما لهم من ناصرين) آل عمران:22..

وفي معجم: الرائد :حبط – يحبط، حبطًا: حبط العمل: بطل، فسد/ حبط: دم القتيل: هدر، أبطل/ حبطت البئر: ذهب ماؤها ولم يعد كما كان/ حبطت الدابة: انتفخ بطنها من كثرة الأكل أو من أكل ما لا يلائم/ حبط البطن: انتفخ/ حبط الجلد: ورم/ حبط الجرح: شفي وبقيت له آثار!

وفي لسان العرب (باختصار وتصرف): حبط حبطا وحبوطًا: عمل عملًا ثم أفسده، والله أحبطه. وفي التنزيل: (فأحبط أعمالهم).

الأزهري: إذا عمل الرجل عملًا ثم أفسده قيل: حبط عمله، وأحبطه صاحبه، وأحبط الله أعمال من يشرك به.

وقال ابن السكيت : يقال حبط عمله يحبط حبطا وحبوطا، فهو حبط، بسكون الباء،

وقال الجوهري: بطل ثوابه وأحبطه الله.

وقال أبو عمرو: الإحباط أن تذهب ماء الركية، فلا يعود كما كان.

وهو من قولهم حبطت الدابة حَبَطًا، إذا أصابت مرعى طيبًا فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت.

قال الأزهري: ولا أرى حبط العمل وبطلانه مأخوذًا إلا من حبط البطن؛ لأن صاحب البطن يهلك، وكذلك عمل المنافق يحبط!

وكلامنا الآتي كله عن فساد العمل، وذهاب أجره، في ميزان الشريعة؛ لأسباب في العمل أو فاعله، كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وبه سبحانه الاستعانة والتوفيق.

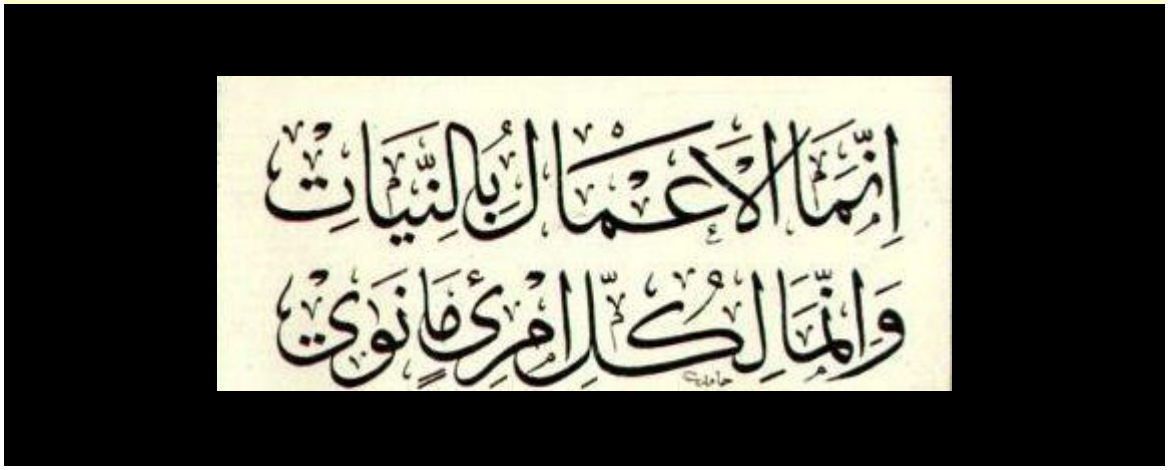

تمهيد:

الأصل في ديننا، وعدالة ربنا تبارك وتعالى أن (من يعمل مثقال ذرة خيرًا يره) وأن (من يعمل مثقال ذرة شرًّا يره) (وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها) (ولا تُظلمون نقيرًا) (وما كان الله ليضيع إيمانكم)!

فكل ما يفعل ابن آدم من الخير يجده عند الله، وما يفعله من الشر قد يحاسب عليه؛ لأنه تعالى يتجاوز (ويعفو عن كثير) إلا ذنبًا كالشرك إذا مات الآدمي عليه، فإنه لا يغفر، ويهدر بجانبه كل ما فعل الآدمي من خير؛ إن كان قد فعل..

فالله تبارك وتعالى لا يظلم الناس شيئًا، ولا يُحفهم، أو ينقص من أجورهم، وهو سبحانه القائل: (وأنتم الأعلون، والله معكم، ولن يتركم أعمالكم) محمد:35.

قال الإمام البغوي في تفسيرها: (ولن يتركم أعمالكم) لن ينقصكم شيئًا من ثواب أعمالكم، يقال: وتره يتره وترًا وترة: إذا نقص حقه، قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك: لن يظلمكم أعمالكم الصالحة؛ بل يؤتيكم أجورها!

لكن من غير الشرك ذنوبًا يحبط الله تعالى بها العمل، ويهدر ثوابه كان لم يكن!

وسأتحدث عن هذا النوع من الذنوب، من خلال مادتي حبط وبطل، الواردتين في المصحف الشريف..

جذر: (ح ب ط) في القرآن الكريم، ودلالاته:

ورد جذر (ح ب ط) في المصحف الشريف ست عشرة مرة، وجاء في معنى فساد العمل وحبوطه اثنتي عشرة مرة، كما ورد جذر (ب ط ل) بالمعنى نفسه ستًّا وثلاثين مرة، أوردها جملة، ثم نتأمل كلام العلماء عنها، ونستفيء ظلالها الندية:

- الكفر من أسباب حبوط الأعمال الصالحة للكفار:

يقول الله تبارك وتعالى: (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين) المائدة:5.

ويقول تبارك وتعالى: (إن الذين كفروا، وصدوا عن سبيل الله، ثم ماتوا وهم كفار؛ فلن يغفر الله لهم) محمد:34.

- الشهادة على النفس بالكفر، من محبطات الأعمال:

يقول الله تبارك وتعالى: (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله، شاهدين على أنفسهم بالكفر، أولئك حبطت أعمالهم، وفي النار هم خالدون* إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله، واليوم الآخر، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، ولم يخش إلا الله؛ فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين(التوبة:17-18.

- الشرك من أسباب حبوط الأعمال الصالحة للمشركين:

يقول الله تبارك وتعالى: (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) الأنعام:88.

ويقول تبارك وتعالى: (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك: لئن أشركت ليحبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين) الزمر:65.

- النفاق والكيد للمؤمنين وسبهم من أسباب حبوط الأعمال الصالحة:

يقول الله تبارك وتعالى: (قد يعلم الله المعوقين منكم، والقائلين لإخوانهم: هلم إلينا، ولا يأتون البأس إلا قليلًا* أشحة عليكم؛ فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك، تدور

أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد، أشحة على الخير، أولئك لم يؤمنوا، فأحبط الله أعمالهم؛ وكان ذلك على الله يسيرًا) الأحزاب:18–19.

ويقول الله تبارك وتعالى: (بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا) النساء:183.

- الردة عن الإسلام من محبطات الأعمال:

يقول الله تبارك وتعالى: (ومن يرتدد منكم عن دينه، فيمت وهو كافر، فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك أصحاب النار، هم فيها خالدون) البقرة:217.

ويقول تبارك وتعالى: (ويقول الذين آمنوا: أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم؟ حبطت أعمالهم، فأصبحوا خاسرين* يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم، ويحبونه....) المائدة:54–54.

- الكفر بالآخرة وإنكار المعاد من محبطات الأعمال:

يقول الله تبارك وتعالى: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالًا* الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا* أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، فحبطت أعمالهم؛ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا* ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا، واتخذوا آياتي ورسلي هزوًا) الكهف:103–106.

- إيثار الدنيا على الآخرة من محبطات الأعمال:

يقول الله تبارك وتعالى: (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون* أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) هود:15–16.

- مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم، والانحياز إلى غير سنته:

يقول الله تبارك وتعالى: (إن الذين كفروا، وصدوا عن سبيل الله، وشاقوا الرسول من – بعد ما تبين لهم الهدى – لن يضروا الله شيئًا، وسيحبط أعمالهم) محمد:32.

- **التطاول على مقام المصطفى صلى الله عليه وسلم وسنته من محبطات الأعمال:**

يقول الله تبارك وتعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله، واتقوا الله؛ إن الله سميع عليم* يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول؛ كجهر بعضكم لبعض، أن تحبط أعمالكم، وأنتم لا تشعرون) الحجرات:1-2.

- **كراهة أحكام الله تعالى أو رفضها، من محبطات الأعمال:**

يقول الله تبارك وتعالى: (والذين كفروا فتعسًا لهم، وأضل أعمالهم* ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله؛ فأحبط أعمالهم) محمد:8-9.

وهو مفهوم من قوله تعالى في سورة النساء:65: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت، ويسلموا تسليمًا).

- **اتباع مساخط الله تعالى، وكراهية ما عنده من محبطات الأعمال:**

يقول الله تبارك وتعالى: (فكيف إذا توفتهم الملائكة، يضربون وجوههم، وأدبارهم* ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله، وكرهوا رضوانه، فأحبط أعمالهم) محمد:27-28.

- **الاستكبار والعناد واتباع الغي، من محبطات الأعمال:**

يقول الله تبارك وتعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلًا، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلًا! ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا، وكانوا عنها غافلين* والذين كذبوا بآياتنا، ولقاء الآخرة، حبطت أعمالهم! هل يجزون إلا ما كانوا يعملون؟) الأعراف:146-146.

- **قتل الأنبياء والدعاء والمصلحين من محبطات الأعمال:**

يقول الله تبارك وتعالى: (إن الذين يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس؛ فبشرهم بعذاب أليم* أولئك الذين حبطت أعمالهم، في الدنيا والآخرة، وما لهم من ناصرين) آل عمران:21-22.

- **الاستغراق في الدنيا وملاذها وغواياتها من محبطات الأعمال:**

يقول الله تبارك وتعالى: (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة، وأكثر أموالًا وأولادًا، فاستمتعوا بخلاقهم، فاستمتعتم بخلاقكم؛ كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم، وخضتم كالذي خاضوا؛ أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك هم الخاسرون) التوبة:69.

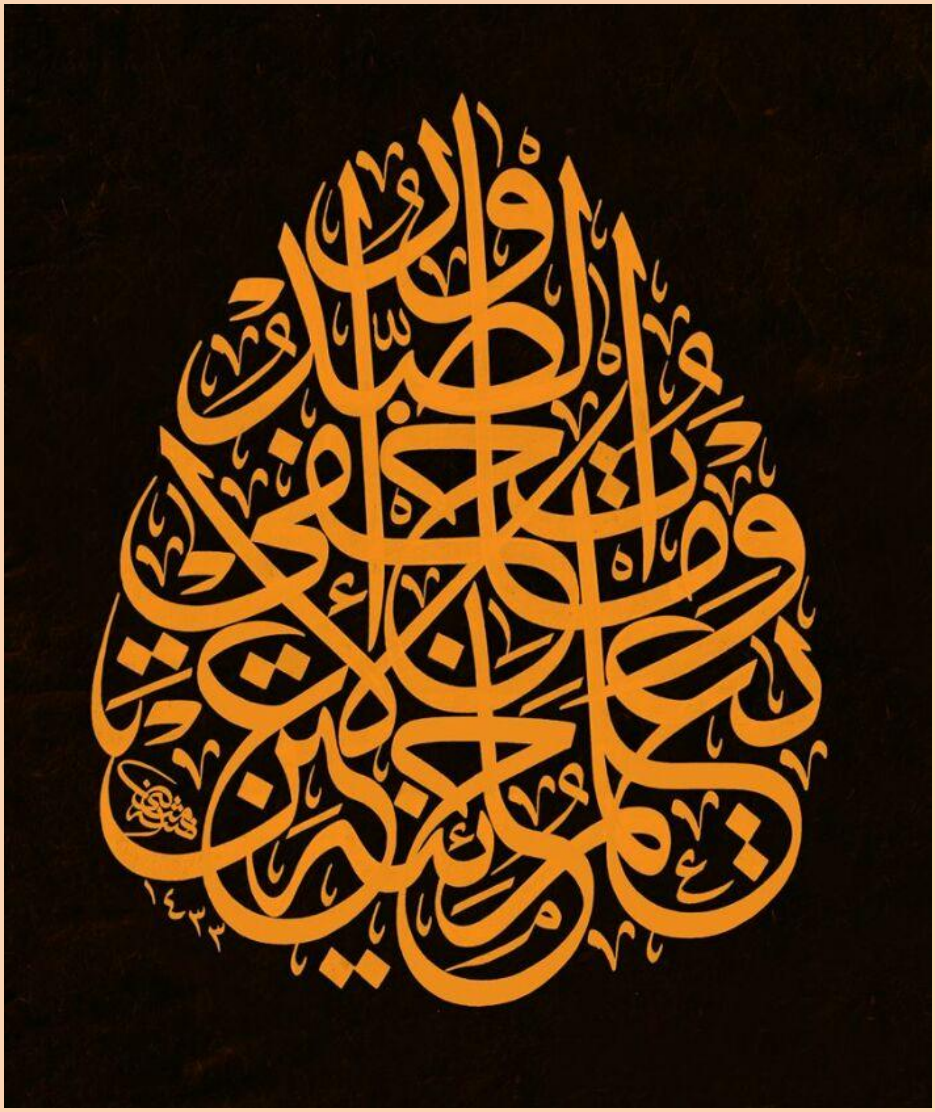

تركيب بجلي الثلث للمبدع العراقي مثنى العبيدي

جذر: (ب ط ل) ودلالاته:

ورد جذر (ب ط ل) ستًّا وثلاثين مرة، وجاء في معنى فساد العمل وحبوطه اثنتي عشرة مرة على النحو التالي:

- وجود الباطل من أكبر الابتلاء:

يقول الله تبارك وتعالى: (... فإن يشأ الله يختم على قلبك، ويمح الله الباطل، ويحق الحق بكلماته؛ إنه عليم بذات الصدور) الشورى:24.

- الله تعالى يأمرنا بعدم إبطال أعمالنا:

يقول الله تبارك وتعالى: (يأيها الذين آمنوا: أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، ولا تبطلوا أعمالكم) محمد:33.

- يخبرنا الله تعالى بأن الباطل لا نفع فيه عنده سبحانه:

يقول الله تبارك وتعالى:

(قل: جاء الحق، وما يبدئ الباطل وما يعيد* قل: إن ضللت فإنما أضل على نفسي، وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي؛ إنه سميع قريب) سبأ:49-50

- كثير من البشر يؤمنون بالباطل الذي يحبطه الله تعالى:

يقول الله تبارك وتعالى: (أفبالباطل يؤمنون، وبنعمة الله هم يكفرون؟!) النحل:72.

ويقول الله تبارك وتعالى: (أولم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا، ويتخطف الناس من حولهم! أفبالباطل يؤمنون، وبنعمة الله يكفرون) العنكبوت:67.

- المؤمن بما أبطله الله تعالى خاسر دنيا وأخرى:

يقول الله تبارك وتعالى: (والذين آمنوا بالباطل، وكفروا بالله؛ أولئك هم الخاسرون) العنكبوت:52.

- الله تعالى يحق الحق ويبطل الباطل:

يقول الله تبارك وتعالى: (ليحق الحق، ويبطل الباطل؛ ولو كره المجرمون) الأنفال:8.

- **الله تعالى يقذف بالحق على الباطل فيزهق:**

يقول الله تبارك وتعالى: (بل نقذف بالحق على الباطل، فيدمغه؛ فإذا هو زاهق، ولكم الويل مما تصفون) الأنبياء:18.

- **المن والأذى من محبطات الأعمال:**

يقول الله تبارك وتعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) البقرة:264.

- **السحر والإفساد (بأشكالهما) من الباطل الحابط:**

يقول الله تبارك وتعالى: (فلما ألقوا قال موسى: ما جئتم به السحر إن الله سيبطله؛ إن الله لا يصلح عمل المفسدين) يونس:81.

- **يوم القيامة يظهر خسار المبطلين، وهوانهم:**

يقول الله تبارك وتعالى: (فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون) غافر:78.

ويقول الله تبارك وتعالى: (ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون* وترى كل أمة جاثية، كل أمة تدعى إلى كتابها؛ اليوم تجزون ما كنتم تعملون* هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق؛ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) الجاثية:27-28.

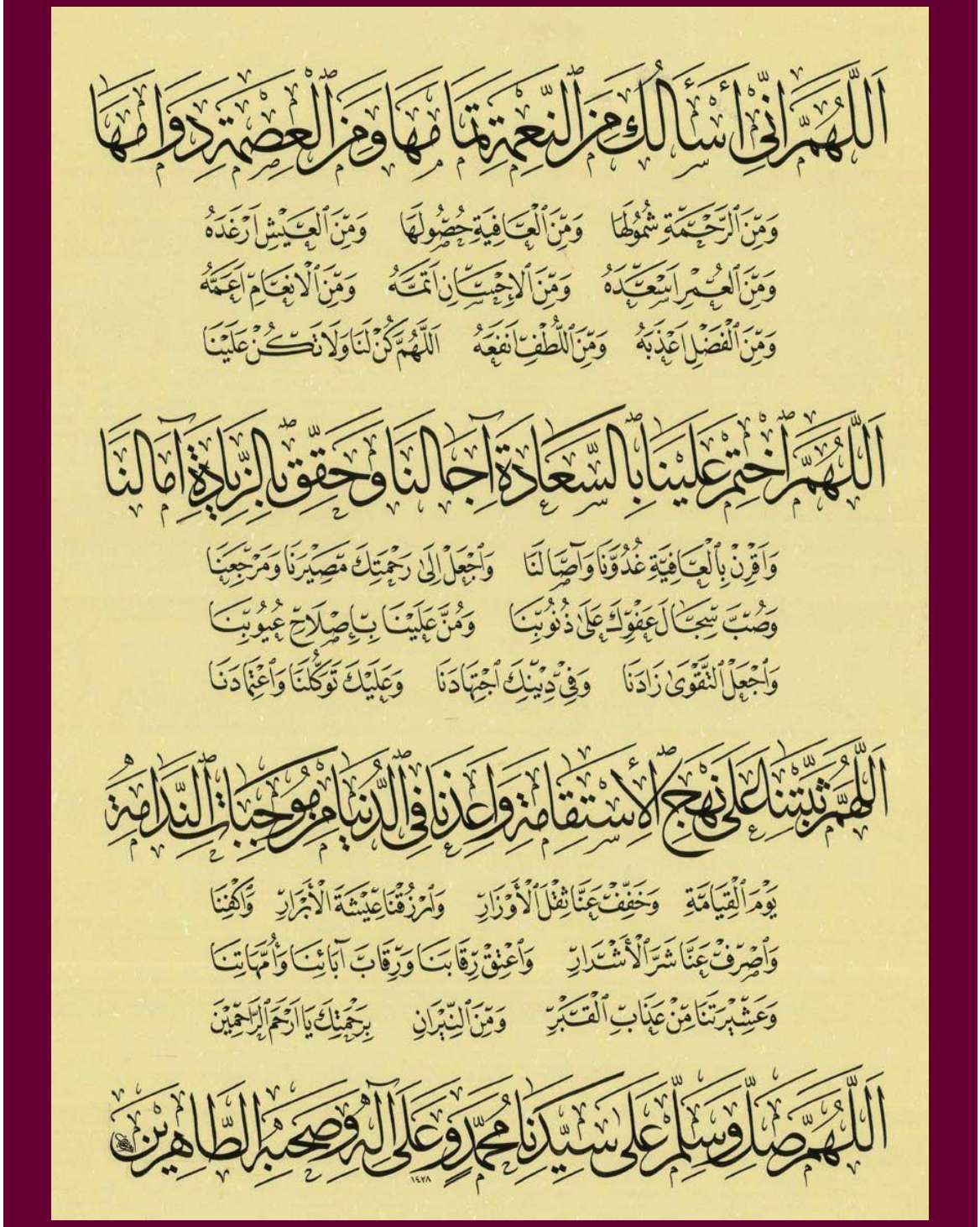

تحفة بخط العراقي المبدع: مشى العبيدي

نظرات في الآيات:

سأقف الآن أمام مفاهيم الآيات السابقة لأسلط الضوء على محبطات الأعمال ومبطلات آثارها، من خلال إشراقات بعض المفسرين الموفقين، وما يمكن أن يضيء الطريق لمستبصر حريص:

الكفر من أسباب حبوط الأعمال الصالحة للكفار:

يقول الله تبارك وتعالى: (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين) المائدة:5.

بعد كلام الله تعالى عن حل الطيبات من المطاعم والمشارب، ومحصنات أهل الكتاب وأهل الإسلام، اعتُبر الإيمان بذلك من تمام الإيمان، واعتبر إنكاره وتنكبه كفرًا بالإيمان/ بالدين/ بالمنهج القويم..

ويخبر ربنا تبارك وتعالى عباده – وهو أعلم بمراده – أن من كفر بحكم من أحكام الله تعالى، ومات على ذلك أحبط الله عمله، وحرمه أجره، وأخسره ما كان يؤمل في الآخرة؛ يوم يكون العبد أحوج ما يكون لشراء نفسه لو أن له ما في الأرض جميعًا ومثله معه!

يقول الأستاذ سيد قطب في ظلاله الراقية الرائقة:

إن هذه التشريعات كلها منوطة بالإيمان؛ وتنفيذها كما هي هو الإيمان؛ أو هو دليل الإيمان؛ فالذي يعدل عنها إنما يكفر بالإيمان، ويستره ويغطيه ويجحده! والذي يكفر بالإيمان يبطل عمله، ويصبح ردًّا عليه لا يقبل منه، ولا يقر عليه!

والحبوط مأخوذ من انتفاخ الدابة وموتها؛ إذا رعت مرعى سامًّا! وهو تصوير لحقيقة العمل الباطل؛ فهو ينتفخ، ثم ينعدم أثره؛ كالدابة التي تتسمم وتنتفخ وتموت، وفي الآخرة تكون الخسارة فوق حبوط العمل وبطلانه في الدنيا!

وهذا التعقيب الشديد، والتهديد المخيف، يجيء على إثر حكم شرعي يختص بحلال وحرام في المطاعم والمناكح، فيدل على ترابط جزئيات هذا المنهج؛ وأن كل جزئية فيه هي «الدين» الذي لا هوادة في الخلاف عنه، ولا قبول لما يصدر مخالفًا له في الصغير أو في الكبير. وفي ظل الحديث عن الطيبات من الطعام والطيبات من النساء يجيء ذكر الصلاة، وأحكام الطهارة للصلاة.

ويقول العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى في الأضواء:

قوله تعالى: (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين) ظاهر هذه الآية الكريمة أن المرتد يحبط جميع عمله بردته – من غير شرط زائد – ولكنه أشار في موضع آخر إلى أن ذلك فيما إذا مات على الكفر، وهو قوله: (من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر) البقرة: 217

ومقتضى الأصول حمل هذا المطلق على هذا المقيد، فيقيد إحباط العمل بالموت على الكفر، وهو قول الشافعي ومن وافقه، خلافًا لمالك القائل بإحباط الردة العمل مطلقًا، والعلم عند الله تعالى.

ويقول الإمام أبو جعفر الطبري: يعني بقوله جل ثناؤه:(ومن يكفر بالإيمان)، ومن يجحد ما أمر الله بالتصديق به، من توحيد الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وهو الإيمان الذي جاء به (فقد حبط عمله) يقول: فقد بطل ثواب عمله الذي كان يعمله في الدنيا، يرجو أن يدرك به منزلة عند الله (وهو في الآخرة من الخاسرين) ، يقول: وهو في الآخرة من الهالكين، الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من ثواب الله بكفرهم بمحمد، وعملهم بغير طاعة الله.

وقد ذكر أن قوله: (ومن يكفر بالإيمان)، عنى به أهل الكتاب، وأنه أنزل على رسول الله صلى عليه وسلم من أجل قوم تحرجوا نكاح نساء أهل الكتاب لما قيل لهم: (أحل لكم الطيبات، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم، وطعامكم حل لهم، والمحصنات من المؤمنات، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)!

وفي السياق نفسه يقول تبارك وتعالى: (إن الذين كفروا، وصدوا عن سبيل الله، ثم ماتوا وهم كفار؛ فلن يغفر الله لهم) محمد:34.

وفي الآية إشارة إلى أن من مات كافرًا، ولم يبتغ الإسلام دينًا، ولم يتب لربه الرحمن الرحيم قبل موته، فإنه غير مغفور له، مهما فعل من خير في الدنيا..

وكثير من غير المؤمنين جادون في أعمالهم، مبدعون في أفكارهم، صادقون في قولهم، عفيفون في أيديهم، لكن ذلك لن ينفع كثيرًا إذا كفروا بربهم، لكنه سبحانه أيضًا، لن يحرمهم ثوابًا عاجلًا في الدنيا، جزاء صلاحهم – حتى لا يظلمهم سبحانه – فهو تبارك وتعالى يكافئهم بها: صحة، أو أولادًا، أو شهرة، أو مالًا، أو جاهًا، أو غير ذلك.

قال في التحرير والتنوير:

هذه الآية تكملة لآية (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) إلخ؛ لأن تلك مسوقة لعدم الاكتراث بمشاقتهم، ولبيان أن الله مبطل صنائعهم، وهذه مسوقة لبيان عدم انتفاعهم لمغفرة الله إذ ماتوا على ما هم عليه من الكفر؛ فهي مستأنفة استئنافًا ابتدائيًّا.

وقال الإمام ابن كثير:

يخبر تعالى عمن كفر وصد عن سبيل الله، وخالف الرسول وشاقه، وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى: أنه لن يضر الله شيئًا، وإنما يضر نفسه، ويخسرها يوم معادها، وسيحبط الله عمله، فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله – الذي عقبه بردته – مثقال بعوضة من خير، بل يحبطه ويمحقه بالكلية، كما أن الحسنات يذهبن السيئات

وقد قال الإمام محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة: حدثنا أبو قدامة، حدثنا وكيع ، حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية قال: كان أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يظنون أنه لا يضر مع (لا إله إلا الله) ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزلت: (أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، ولا تبطلوا أعمالكم) فخافوا أن يبطل الذنب العمل.

الشرك من أسباب حبوط الأعمال الصالحة للكفار:

بقدر ما كان أهل الجاهليات السابقة مشركين مع الله تعالى آلهة أخرى، ينوع أهل هذه (الحضارة) العلمية الباذخة أنواعًا من الشرك متطرفة شديدة الجنوح، مادية ومعنوية!

فمن حيث الشرك المادي أزعم أن أكبر عدد من الأصنام عرفته البشرية في تاريخها من الأصنام المعبودة موجود في زمننا! وحسبك أن تعلم أن حول كل معبد أو كاتدرائية، أو كنيسة كبيرة، عددًا لافتًا من المحلات التي تبيع (آلهة) و(أشباه آلهة) متفاوتة الأحجام، يحملها المشترون إلى بيوتهم، لها يتضرعون، وإليها يحفدون!

وقد رأيت من هذه المتاجر الشيء الكثير، في مدن غربية يقال إنها شديدة التحضر، والعلمية، والعلمنة، والاستنارة!

كما أن هناك غلوًّا في الاعتداد بالعقل البشري الذي صار عند كثيرين إلهًا، أو بديلًا عن الإله – تبارك وتعالى – بل إنه أعلى شيئًا وأحكم قبضة على حياة الناس في عقول عابديه وقلوبهم ومسيرات حياتهم!

ناهيك عن إله الشهوة الذي صار يستبيح كل حرام، ويشرعن كل شاذ، ويقنن حتى زنا المحارم، ويهدد كل فطرة سوية، وكل شرعة ربانية!

ناهيك عن آلهة أخرى معبودة مقصودة كالمال، والهوى، والمواضعات البشرية، وأصنام الأفكار البراقة الخلوب، التي حولت عالمنا بحيرات دماء، وساحات مجازر، وحلبات اقتتال!

يخاطب الله تبارك وتعالى نبيه الكريم في سورة الزمر:65:

(ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك، لئن أشركت ليحبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين)!

قال في فتح القدير: (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك) أي: من الرسل (لئن أشركت ليحبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين) هذا الكلام من باب التعريض لغير الرسل؛ لأن الله سبحانه قد عصمهم عن الشرك، ووجه إيراده على هذا الوجه التحذير والإنذار للعباد من الشرك؛ لأنه إذا كان موجبًا لإحباط عمل الأنبياء – على الفرض والتقدير– فهو محبط لعمل غيرهم من أممهم بطريق الأولى.

قيل: وفي الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: ولقد أوحي إليك لئن أشركت وأوحي إلى الذين من قبلك كذلك.

قال مقاتل أي: أوحي إليك وإلى الأنبياء قبلك بالتوحيد، والتوحيد محذوف!

وقيل: إفراد الخطاب في قوله: (لئن أشركت) باعتبار كل واحد من الأنبياء: كانه قيل: أوحي إليك وإلى كل واحد من الأنبياء هذا الكلام، وهو لئن أشركت، وهذه الآية مقيدة بالموت على الشرك، كما في الآية الأخرى (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم) البقرة: 217، وقيل: هذا خاص بالأنبياء لأن الشرك منهم أعظم ذنبا من الشرك من غيرهم، والأول أولى.

ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتوحيده، فقال: (بل الله فاعبد) وفي هذا رد على المشركين حيث أمروه بعبادة الأصنام. ووجه الرد ما يفيده التقديم من القصر.

ويقول الأستاذ سيد قطب:

(والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون)!

خسروا الإدراك الذي يجعل حياتهم في الأرض متسقة مع حياة الكون كله!

وخسروا راحة الهدى وجمال الإيمان وطمأنينة الاعتقاد وحلاوة اليقين!

وخسروا في الآخرة أنفسهم وأهليهم؛ فهم الخاسرون الذين ينطبق عليهم لفظ (الخاسرون)!

وعلى ضوء هذه الحقيقة التي تنطق بها السموات والأرض، ويشهد بها كل شيء في الوجود، يلقن الرسول صلى الله عليه وسلم استنكار ما يعرضونه عليه من مشاركتهم عبادة آلهتهم؛ في مقابل أن يعبدوا معه إلهه، كان الأمر أمر صفقة يساوم عليها في السوق!

(قل: أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون)!؟

وهو الاستنكار الذي تصرخ به الفطرة في وجه هذا العرض السخيف الذي ينبئ عن الجهل المطلق المطبق المطموس!

ويعقب عليه بتحذير من الشرك، يبدأ أول ما يبدأ بالأنبياء والمرسلين، وهم صلوات الله عليهم لا يتطرق إلى قلوبهم طائف الشرك أبدًا!

ولكن التحذير هنا ينبه سواهم من أقوامهم إلى تفرد ذات الله سبحانه في مقام العبادة، وتوحد البشر في مقام العبودية، بما فيهم الأنبياء والمرسلون!

(ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك: لئن أشركت ليحبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين)! ويختتم هذا التحذير من الشرك بالأمر بالتوحيد؛ توحيد العبادة والشكر على الهدى واليقين، وعلى آلاء الله التي تغمر عباده، ويعجزون عن إحصائها، وهم فيها مغمورون (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)!

والشرك كذلك بصوره كلها من محبطات الأعمال، فإنه (من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار) و(إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك؛ لمن يشاء) سواء كان هذا الشرك في الربوبية (فيما يتعلق بأفعال الله تبارك وتعالى لمخلوقاته) أو شرك

الألوهية (فيما يتعلق بأفعال العبد في عبادته ربه عز وجل) أو في أسمائه سبحانه وتعالى، أو في حكمه وأمره..

فمن أشرك مع الله تعالى شيئًا – أيًّا كان – رد الله تعالى عليه عبادته، وتركه وشركه، ووكله إلى نفسه، وهي كارثة ثقيلة، حين يحشر الذين ظلموا، وأزواجهم، وما كانوا يعبدون من دون الله تعالى، ليلقوا في سواء الجحيم! مهما كان زهدهم، وحسن أدائهم، فإنه تبارك وتعالى أغنى الشركاء عن الشرك!

وقال أيضًا في الظلال:

هذا تقرير لينابيع الهدى في هذه الأرض؛ فهدى الله للبشر يتمثل فيما جاءت به الرسل، وينحصر المستيقن منه، والذي يجب اتباعه، في هذا المصدر الواحد، الذي يقرر الله – سبحانه – أنه هو هدى الله؛ وأنه هو الذي يهدي إليه من يختار من عباده..

ولو أن هؤلاء العباد المهديين حادوا عن توحيد الله، وتوحيد المصدر الذي يستمدون منه هداه، وأشركوا بالله في الاعتقاد أو العبادة أو التلقي، فإن مصيرهم أن يحبط عنهم عملهم: أي أن يذهب ضياعًا، ويهلك كما تهلك الدابة التي ترعى نبتًا مسمومًا، فتنتفخ ثم تموت.. وهذا هو الأصل اللغوي للحبوط!

وقال الإمام أبو جعفر الطبري في تفسيره:

يعني – تعالى ذكره – بقوله: (ذلك هدى الله) هذا الهدى الذي هديت به من سميت من الأنبياء والرسل، فوفقتهم به لإصابة الدين الحق، الذي نالوا بإصابتهم إياه رضا ربهم، وشرف الدنيا، وكرامة الآخرة، هو توفيق الله ولطفه، الذي يوفق به من يشاء، ويلطف به لمن أحب من خلقه، حتى ينيب إلى طاعة الله، وإخلاص العمل له، وإقراره بالتوحيد، ورفض الأوثان والأصنام (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) يقول: ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سميناهم، بربهم – تعالى ذكره – فعبدوا معه غيره (لحبط عنهم) يقول: لبطل فذهب عنهم أجر أعمالهم التي كانوا يعملون، لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملًا.

الشهادة على النفس بالكفر، أو الشرك، من محبطات الأعمال:

لا شك أن من كفر بالله تعالى، وتعالن بكفره، وجاهر برفضه الهداية، فقد شهد على نفسه بالكفر، وأحبط باختياره عمله، فلا يلومن بعد إلا نفسه، (فمن أبصر فلنفسه، ومن عمي فعليها)!

وكم يشهد بعض الناس على أنفسهم بالكفر – في المنظور الإسلامي – حين يقول: إنه نصراني أو يهودي/ وجودي أو شيوعي/ ملحد أو وثني!

وليس لأحد من هؤلاء أن يدخل بيت الله تعالى الحرام في مكة، أو يتخذ مسجدًا ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين، أو يدخل على المسلمين بشعارات يخدع بها العامة ومن لا حظ له من العلم الشرعي القويم، كما يفعل عدد من متطرفي العلمنة الذين سموا أنفسهم مفكرين إسلاميين مستنيرين، وكانوا يهدمون أسس الإسلام، ويطعنون في ثوابته، ويلبسون على العامة، ويضربون الدين بعضه ببعض!

وتقوم مساجد في العالم الإسلامي لطوائف كثيرة ممن حكم علماء السنة بمروقهم، كالبابية البهائية والقاديانية، وغلاة الدرويش، ومتطرفي الرفض، وأشباههم، وكثيرًا ما يسمون أنفسهم مسلمين أو موحدين، ونحو ذلك من ألقاب.

بل ينادي بعضهم – في بلاد السنة الخالصة – بإقامة معابد للبوذيين وأشباههم من المتطرفين الوثنيين؛ ضربًا للنسيج الديني والاجتماعي، وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل!

وإذا جاز ذلك على العامة، فإن هؤلاء المستغفلين لن يخدعوا ربهم تبارك وتعالى الذي إليه سينقلبون:

يقول الله تبارك وتعالى: (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله، شاهدين على أنفسهم بالكفر، أولئك حبطت أعمالهم، وفي النار هم خالدون* إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله، واليوم الآخر، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، ولم يخش إلا الله؛ فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) التوبة:17–18.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

ذكروا في سبب نزولها ما رواه ابن أبي حاتم وغيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن المشركين بجهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبادة آلهتهم، ويعبدون هم معه إلهه، فنزلت: (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون؟* ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك: لئن أشركت ليحبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين).

وهذه كقوله تعالى: (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) الأنعام:88، وكقوله تعالى: (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) أي: أخلص العبادة لله وحده، لا شريك له، أنت ومن معك، أنت ومن اتبعك وصدقك!

وقال الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى:

ينكر السياق على المشركين أن يكون لهم الحق في أن يعمروا بيوت الله، فهو حق خالص للمؤمنين بالله، القائمين بفرائضه؛ وما كانت عمارة البيت في الجاهلية وسقاية الحاج لتغير من هذه القاعدة.

وهذه الآيات كانت تواجه ما يحيك في نفوس بعض المسلمين الذين لم تتضح لهم قاعدة هذا الدين.

(ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) فهو أمر مستنكر منذ الابتداء، ليس له مبرر لأنه مخالف لطبائع الأشياء؛ إن بيوت الله خالصة لله، لا يذكر فيها إلا اسمه، ولا يدعى معه فيها أحد غيره، فكيف يعمرها من لا يعمر التوحيد

قلوبهم، ومن يدعون مع الله شركاء، ومن يشهدون على أنفسهم بالكفر شهادة الواقع الذي لا يملكون إنكاره، ولا يسعهم إلا إقراره؟ (أولئك حبطت أعمالهم) فهي باطلة أصلًا، ومنها عمارة بيت الله التي لا تقوم إلا على قاعدة من توحيد الله.

(وفي النار هم خالدون)؛ بما قدموا من الكفر الواضح الصريح.

إن العبادة تعبير عن العقيدة؛ فإذا لم تصح العقيدة لم تصح العبادة؛ وأداء الشعائر وعمارة المساجد ليست بشيء ما لم تعمر القلوب بالاعتقاد الإيماني الصحيح، وبالعمل الواقع الصريح، وبالتجرد لله في العمل والعبادة على السواء:

(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله)! والنص على خشية الله وحده دون سواه بعد شرطي الإيمان الباطن والعمل الظاهر، لا يجيء نافلة؛ فلا بد من التجرد لله؛ ولا بد من التخلص من كل ظل للشرك في الشعور أو السلوك؛ وخشية أحد غير الله لون من الشرك الخفي ينبه إليه النص قصدًا في هذا الموضع؛ ليتمحض الاعتقاد والعمل كله لله. وعندئذ يستحق المؤمنون أن يعمروا مساجد الله، ويستحقون أن يرجوا الهداية من الله.

(فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) فإنما يتوجه القلب وتعمل الجوارح، ثم يكافئ الله على التوجه والعمل بالهداية والوصول والنجاح.

هذه هي القاعدة في استحقاق عمارة بيوت الله؛ وفي تقويم العبادات والشعائر على السواء يبينها الله للمسلمين والمشركين، فما يجوز أن يسوى الذين كانوا يعمرون الكعبة ويسقون الحجيج في الجاهلية، وعقيدتهم ليست خالصة لله، ولا نصيب لهم من عمل أو جهاد!

وفي المعنى ذاته – حبوط الثواب بالشرك أو الكفر – يقول تبارك وتعالى: (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك: لئن أشركت ليحبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين) الزمر:65.

وهي قاعدة لم يأت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده، بل هي في عقائد الأنبياء السابقين عليه وعليهم صلوات الله وسلامه،؛ فهم كلهم جاؤوا بالتوحيد، ونبذ الشرك والكفر..

(أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون)؟ وهو الاستنكار الذي تصرخ به الفطرة – كما يقول سيد قطب – في وجه هذا العرض السخيف الذي ينبئ عن الجهل المطلق المطبق المطموس.

ويعقب عليه بتحذير من الشرك، يبدأ أول ما يبدأ بالأنبياء والمرسلين، وهم صلوات الله عليهم لا يتطرق إلى قلوبهم طائف الشرك أبدًا، ولكن التحذير هنا ينبه سواهم من أقوامهم إلى تفرد ذات الله سبحانه في مقام العبادة، وتوحد البشر في مقام العبودية، بما فيهم الأنبياء والمرسلون: (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك: لئن أشركت ليحبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين)!

النفاق والكيد للمؤمنين وسبهم محبطات للأعمال الصالحة:

كان منافقو الماضي، لا منافقو زماننا التعيس، الذين يضربون الإسلام في مقاتله، ويسمون الإسلاميين متأسلمين وأدعياء تدين، ويرون أنفسهم أفهم بالإسلام وأبصر

وأخبر، وهم يجاهرون بالعلمنة، والاستباحة والعري والكبائر والفحش، لا يستحيون من الله تعالى ولا من عباد الله، ويملكون من صفاقة الوجه وحقارة الطبع أن يعلنوا أنهم الأهدى والأقوم، والأشرف والأكرم..

كان منافقو الماضي يصلون ويصومون ويحجون ويزكون، ويتظاهرون بنصرة الحبيب صلى الله عليه وسلم، الغني بالله تعالى ثم بالمسلمين الصادقين.. ومع هذا أخبرهم الله أن أعمالهم حابطة مهدرة:

يقول الله تبارك وتعالى: (قد يعلم الله المعوقين منكم، والقائلين لإخوانهم: هلم إلينا، ولا يأتون البأس إلا قليلًا* أشحة عليكم؛ فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك، تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد، أشحة على الخير، أولئك لم يؤمنوا، فأحبط الله أعمالهم؛ وكان ذلك على الله يسيرًا) الأحزاب:18-19.

ويقول الله تبارك وتعالى: (بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا) النساء:183.

قال في التحرير والتنوير:

فإحباط الأعمال: إبطال الاعتداد بالأعمال المقصود بها القربة، والمظنون بها أنها أعمال صالحة؛ لمانع منع من الاعتداد بها في الدين!

وقد صار لفظ الحبط والحبوط من الألفاظ الشرعية الاصطلاحية بين علماء الفقه والكلام، فأطلق على عدم الاعتداد بالأعمال الصالحة بسبب الردة، أي الرجوع إلى الكفر، أو بسبب زيادة السيئات على الحسنات بحيث يستحق صاحب الأعمال العذاب بسبب زيادة سيئاته على حسناته بحسب ما قدر الله لذلك وهو أعلم به!

ومن هذه الجهة عدت مسألة الحبوط مع المسائل الكلامية، أو بحيث ينظر في انتفاعه بما فعل من الواجبات عليه، إذا ارتد عن الإسلام، ثم عاد إلى الإسلام، كمن حج ثم ارتد، ثم رجع إلى الإسلام، ومن هذه الجهة تعد مسألة الحبوط في مسائل الفقه:

فقال مالك وأبو حنيفة: الردة تحبط الأعمال بمجرد حصولها، فإذا عاد إلى الإسلام وكان قد حج مثلا قبل ردته، وجبت عليه إعادة الحج؛ تمسكًا بإطلاق هذه الآية؛ إذ ناطت الحبوط بأنتفاء الإيمان، ولم يريا أن هذا مما يحمل فيه المطلق على المقيد احتياطًا؛ لأن هذا الحكم راجع إلى الاعتقادات ولا يكفي فيها الظن!

وقال الشافعي: إذا رجع إلى الإسلام رجعت إليه أعماله الصالحة التي عملها قبل الردة؛ تمسكًا بقوله تعالى: (ومن يرتدد منكم عن دينه، فيمت وهو كافر، فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) في سورة البقرة؛ حملًا للمطلق في آية سورة الأحزاب ونحوها على المقيد في آية سورة البقرة؛ تغليبًا للجانب الفروعي في هذه المسألة على الجانب الاعتقادي!

وتعرف هذه المسألة بمسألة الموافاة، أي استمرار المرتد على الردة إلى انقضاء حياته فيوافي يوم القيامة مرتدًا: فمالك وأبو حنيفة لم يريا شرط الموافاة، والشافعي اعتبر الموافاة. والمعتزلة قائلون بمثل ما قال به مالك وأبو حنيفة.

وحكى الفخر عن المعتزلة اعتبار الموافاة على الكفر، والمعنى: أنهم لا تنفعهم قرباتهم ولا جهادهم!

وجملة (وكان ذلك على الله يسيرًا) خبر مستعمل في لازمه، وهو تحقيرهم، وأن الله تعالى لما أخرجهم من حظيرة الإسلام فأحبط أعمالهم، لم يعبأ بهم، ولا عد ذلك ثلمة في جماعة المسلمين! وكان المنافقون يدلون بإظهار الإيمان، ويحسبون أن المسلمين يعتزون بهم، قال تعالى: (يمنون عليك أن أسلموا! قل: لا تمنوا علي إسلامكم؛ بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) .

وقال في فتح القدير (باختصار وتصرف):

هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك أنهم قالوا لهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحمًا لالتقمهم أبو سفيان وحزبه، فخلوهم وتعالوا إلينا!

(ولا يأتون البأس) أي: الحرب (إلا قليلًا) خوفا من الموت، وقيل: المعنى: لا يحضرون القتال إلا رياء وسمعة، من غير احتساب!

(أشحة عليكم) أي: بخلاء عليكم لا يعاونونكم بحفر الخندق، ولا بالنفقة في سبيل الله، قاله مجاهد، وقتادة!

وقيل: أشحة بالقتال معكم، وقيل: بالنفقة على فقرائكم ومساكينكم، وقيل: أشحة بالغنائم إذا أصابوها. قاله السدي!

(فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم) أي: تدور يمينًا وشمالًا، وذلك سبيل الجبان إذا شاهد ما يخافه (كالذي يغشى عليه من الموت) أي: كعين الذي يغشى عليه من الموت، وهو الذي نزل به الموت وغشيته أسبابه، فيذهل، ويذهب عقله، ويشخص بصره فلا يطرف، كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم؛ لما يلحقهم من الخوف!

(فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) يقال: سلق فلان فلانًا بلسانه: إذا أغلظ له في القول مجاهرًا، قال الفراء: أي: آذوهم بالكلام في الأمن، بألسنة سليطة ذربة، قال القتيبي: المعنى آذوكم بالكلام الشديد، والسلق الأذى!

وقال قتادة: معنى الآية: بسطوا ألسنتهم فيكم في وقت قسمة الغنيمة يقولون: أعطنا فإنه قد شهدنا معكم، فعند الغنيمة أشح قوم وأبسطهم لسانا ووقت البأس أجبن قوم وأخوفهم.

ويمكن أن يقال: معناه: أنهم قليلو الخير من غير تقييد بنوع من أنواعه والإشارة بقوله: (أولئك) إلى الموصوفين بتلك الصفات لم يؤمنوا إيمانًا خالصًا بل هم منافقون: يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر!

(فأحبط الله أعمالهم) أي: أبطلها بمعنى أظهر بطلانها، لأنها لم تكن لهم أعمال تقتضي الثواب حتى يبطلها الله!

قال مقاتل: أبطل جهادهم لأنه لم يكن في إيمان وكان ذلك على الله يسيرا أي: وكان ذلك الإحباط لأعمالهم، أو كان نفاقهم على الله هينًا.

الردة عن الإسلام من محبطات الأعمال:

ومن أكبر محبطات الأعمال: الردة عن الإسلام لدين آخر، أو لغير دين:

- فهو جرأة على رب العالمين سبحانه وتعالى!
- ونقض للعروة!
- وخروج على الأحكام!
- ومفارقة للجماعة!
- وخلع اليد من الطاعة!

وكم من مولود على الإسلام سبه وقال: أنا ملحد، أو أنا شيوعي لا أومن بدين، أو أنا وجودي دهري، أو علمي أؤمن بالمحسوس (ساينتولوجي)..

ونعوذ بالله من الحور بعد الكون!

وهذا أمر حصل قديمًا ويحصل حديثًا وفي كل حين، ولا يزال التاريخ يذكر حكاية جبلة بن الأيهم الغساني الذي أبى المساواة في القانون بينه وبين مسلم أراد أن يأخذ حقه منه، فهرب إلى الروم وتنصر، وقصته موجودة في البداية والنهاية، وأخرجها الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في المنتظم والحافظ ابن عساكر في تاريخه وغيرهم!

كما نرى في عصرنا بعض حالات الردة، نتيجة الجهل بالإسلام، وفخاخ الشبهات، وحظوظ الدنيا، ودأب المنصرين الذي وصلوا لأقصى بقاع الأرض، والذين يكونون أكبر جيش في الدنيا وأغناه!

يقول الله تبارك وتعالى: (ومن يرتدد منكم عن دينه، فيمت وهو كافر، فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك أصحاب النار، هم فيها خالدون) البقرة:217.

ويقول تبارك وتعالى: (ويقول الذين آمنوا: أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم؟ حبطت أعمالهم، فأصبحوا خاسرين* يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم، ويحبونه....) المائدة:53-54.

قال الإمام ابن العربي في الأحكام: اختلف العلماء رحمة الله عليهم في المرتد، هل يحبط عمله نفس الردة، أم لا يحبط إلا على الموافاة على الكفر؟

فقال الشافعي : لا يحبط له عمل إلا بالموافاة كافرًا!

وقال: يحبط بنفس الردة!

ويظهر الخلاف في المسلم إذا حج ثم ارتد ثم أسلم:

فقال مالك: يلزمه الحج لأن الأول قد حبط بالردة، وقال الشافعي: لا إعادة عليه لأن عمله باق.

واستظهر عليه علماؤنا بقول الله تعالى: (لئن أشركت ليحبطن عملك) وقالوا: هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد به أمته؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يستحيل منه الردة شرعًا!

وقال أصحاب الشافعي: بل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم؛ على طريق التغليظ على الأمة، وبيان أن النبي صلى الله عليه وسلم – على شرف منزلته – لو أشرك لحبط عمله، فكيف أنتم؟ لكنه لا يشرك لفضل مرتبته، كما قال الله تعالى: (يا نساء النبي: من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين)؛ وذلك لشرف منزلتهن، وإلا فلا يتصور إتيان فاحشة منهن، صيانة لصاحبهن المكرم المعظم، صلى الله عليه وسلم!

وقال علماؤنا: إنما ذكر الموافاة شرطًا هاهنا، لأنه علق عليها الخلود في النار جزاء، فمن وافى كافرًا خلده الله في النار بهذه الآية، ومن أشرك حبط عمله بالآية الأخرى، فهما آيتان مفيدتان لمعنيين مختلفين، وحكمين متغايرين، وما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فهو لأمته حتى يثبت اختصاصه به، وما ورد في أزواجه صلى الله عليه وسلم فإنما

قيل ذلك فيهن، ليبين أنه لو تصور لكان هتكًا لحرمة الدين، وحرمة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكل هتك حرمة عقاب، وينزل ذلك منزلة من عصى في شهر حرام، أو في البلد الحرام، أو في المسجد الحرام، فإن العذاب يضاعف عليه بعدد ما هتك من الحرمات، والله الواقي لا رب غيره.

ويقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى:

والقرآن يعبر بهذا عن حبوط العمل، فيتطابق المدلول الحسي والمدلول المعنوي! يتطابق تضخم العمل الباطل وأنتفاخ مظهره، وهلاكه في النهاية وبواره، مع تضخم حجم الناقة وأنتفاخها ثم هلاكها في النهاية بهذا الأنتفاخ! ومن يرتدد عن الإسلام وقد ذاقه وعرفه؛ تحت مطارق الأذى والفتنة – مهما بلغت – هذا مصيره الذي قرره الله له: حبوط العمل في الدنيا والآخرة، ثم ملازمة العذاب في النار خلودًا.

إن القلب الذي يذوق الإسلام ويعرفه، لا يمكن أن يرتد عنه ارتدادًا حقيقيًّا أبدًا؛ إلا إذا فسد فسادًا لا صلاح له، وهذا أمر غير التقية من الأذى البالغ، الذي يتجاوز الطاقة، فالله الرحيم، رخص للمسلم – حين يتجاوز العذاب طاقته – أن يقي نفسه بالتظاهر، مع بقاء قلبه ثابتًا على الإسلام مطمئنًا بالإيمان؛ ولكنه لم يرخص له في الكفر الحقيقي، وفي الارتداد الحقيقي، بحيث يموت وهو كافر،والعياذ بالله!

وهذا التحذير من الله تعالى قائم إلى آخر الزمان، ليس لمسلم عذر في أن يخنع للعذاب والفتنة، فيترك دينه ويقينه، ويرتد عن إيمانه وإسلامه، ويرجع عن الحق الذي ذاقه وعرفه. وهناك المجاهدة والمجالدة والصبر والثبات حتى يأذن الله، والله لا يترك عباده الذين يؤمنون به، ويصبرون على الأذى في سبيله. فهو معوضهم خيرًا: إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة. وهناك رحمته التي يرجوها من يؤذون في سبيله؛ لا ييأس منها مؤمن عامر القلب بالإيمان!

قتل الأنبياء والدعاة والمصلحين من محبطات الأعمال:

ومن أشنع ما يفعله آدمي من محبطات الأعمال أن يقتل نبيًّا، أو مصلحًا، أو أحدًا من أولياء الله تعالى، مبارزًا الملك الجبار بالمحاربة، كما فعل اليهود عليهم لعائن الله تعالى مع أنبيائهم، وكما يفعل كثير من المتجبرين والفراعين مع الدعاة والمصلحين فيهم، وما أكثرهم في زماننا، وما أشد ما فعلوا ونكلوا، قاتلهم الله أنى يؤفكون!

يقول الله تبارك وتعالى: (إن الذين يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس؛ فبشرهم بعذاب أليم* أولئك الذين حبطت أعمالهم، في الدنيا والآخرة، وما لهم من ناصرين) آل عمران:21–22.

قال في المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى:

هؤلاء الذين أخبر الله عنهم في هذه الآية، أشد الناس جرمًا!

وأي جرم أعظم من الكفر بآيات الله، التي تدل دلالة قاطعة على الحق، الذي من كفر بها فهو في غاية الكفر والعناد، ويقتلون أنبياء الله الذين حقهم أوجب الحقوق على العباد بعد حق الله، الذين أوجب الله طاعتهم والإيمان بهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، ونصرهم، وهؤلاء قابلوهم بضد ذلك، ويقتلون أيضًا الذين يأمرون الناس بالقسط الذي هو العدل، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي حقيقته: إحسان إلى المأمور ونصح له، فقابلوهم شر مقابلة، فاستحقوا بهذه الجنايات المنكرات أشد العقوبات – وهو العذاب

المؤلم البالغ في الشدة إلى غاية لا يمكن وصفها، ولا يقدر قدرها، المؤلم للأبدان والقلوب والأرواح، وبطلت أعمالهم بما كسبت أيديهم، وما لهم أحد ينصرهم من عذاب الله، ولا يدفع عنهم من نقمته مثقال ذرة، بل قد أيسوا من كل خير، وحصل لهم كل شر وضير، وهذه الحالة صفة اليهود ونحوهم، قبحهم الله ما أجرأهم على الله وعلى أنبيائه وعباده الصالحين!

فهذا هو المصير المحتوم: عذاب أليم لا يحدده بالدنيا أو بالآخرة؛ فهو متوقع هنا وهناك. وبطلان لأعمالهم في الدنيا والآخرة في تعبير مصور، فالحبوط هو انتفاخ الدابة التي ترعى نبتًا مسمومًا، توطئة لهلاكها؛ وهكذا أعمال هؤلاء قد تنتفخ وتتضخم في الأعين، ولكنه الانتفاخ المؤدي إلى البطلان والهلاك! حيث لا ينصرهم ناصر، ولا يدفع عنهم حام!

وذكر الكفر بآيات الله مصحوبًا بقتل النبيين بغير حق – وما يمكن أن يقتل نبي ثم يكون هناك حق – وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس – أي الذين يأمرون باتباع منهج الله القائم بالقسط المحقق وحده للقسط؛ ذكر هذه الصفات يوحي بأن التهديد كان موجهًا لليهود؛ فهذه سمتهم في تاريخهم، يعرفون بها متى ذكرت!

ولكن هذا لا يمنع أن يكون الكلام موجهًا للنصارى كذلك، فقد كانوا حتى ذلك التاريخ قتلوا الألوف من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهب الدولة الرومانية المسيحية – بما فيهم من جاهروا بتوحيد الله تعالى، وبشرية المسيح عليه السلام – وهؤلاء ممن يأمرون بالقسط؛ كما أنه تهديد دائم لكل من يقع منه مثل هذا الصنيع البشع، وكثير ما هم في كل زمان!

قلت: ولكن هذا لا يمنع أن يكون الكلام موجهًا لجبابرة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، يرون شرعهم أعلى من شرع الله تعالى، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس!

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

هذا ذم من الله تعالى لأهل الكتاب؛ فيما ارتكبوه من المآثم والمحارم، في تكذيبهم بآيات الله قديمًا وحديثًا، التي بلغتهم إياها الرسل، استكبارًا عليهم، وعنادًا لهم، وتعاظمًا على الحق، واستنكافًا عن اتباعه، ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه، بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم، إلا لكونهم دعوهم إلى الحق (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) وهذا هو غاية الكبر، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الكبر بطر الحق وغمط الناس)!

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا..... عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد عذابا يوم القيامة؟

قال: (رجل قتل نبيًّا، أو من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر) ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الذين يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم) إلى قوله تعالى: (وما لهم من ناصرين) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا عبيدة، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًّا، من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة وسبعون رجلًا من بني إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف، ونهوهم عن المنكر، فقتلوا جميعًا من آخر النهار من ذلك اليوم، فهم الذين ذكر الله عز وجل)!

قلت: الحديث في السلسلة الضعيفة، وجملة: (رجل قتل نبيًّا) صحت في غير مصدر، وبقيته ضعيفة.

وعن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، قال: قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبي من أول النهار، وأقاموا سوق بقلهم من آخره. رواه ابن أبي حاتم.

ولهذا لما أن تكبروا عن الحق واستكبروا على الخلق، قابلهم الله على ذلك بالذلة والصغار في الدنيا والعذاب المهين في الآخرة، فقال: (فبشرهم بعذاب أليم) أي: موجع مهين (أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين)!

الاستكبار والعناد واتباع الغي، من محبطات الأعمال:

كثيرًا ما ذم الله تعالى في كتابه العناد والكبر اللذين يولدان الكفر والتمرد ورفض الدين، فكثير من الكفار (جحدوا بها، واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا) وكثير من أهل الكتاب (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)!

وهذا الصنف من المعاندين المستكبرين ضائع العمل، حاصد للخواء والهباء، لن يقبض بيده في النهاية غير الريح:

يقول الله تبارك وتعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلًا، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلًا! ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا، وكانوا عنها غافلين* والذين كذبوا بآياتنا، ولقاء الآخرة، حبطت أعمالهم! هل يجزون إلا ما كانوا يعملون؟) الأعراف:146–146.

قال في فتح القدير: قوله تعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق):

قيل: معنى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون): سأمنعهم فهم كتابي، أو سأصرفهم عن الإيمان بها، أو سأصرفهم عن نفعها؛ مجازاة على تكبرهم، كما في قوله تعالى: (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) الصف: 5، وقيل: سأطبع على قلوبهم حتى لا يتفكروا فيها ولا يعتبروا بها.

واختلف في تفسير الآيات فقيل: هي المعجزات، وقيل: الكتب المنزلة، وقيل: هي خلق السموات والأرض، وصرفهم عنها: ألا يعتبروا بها، ولا مانع من حمل الآيات على جميع ذلك حمل الصرف على جميع المعاني المذكورة.

قوله تعالى: (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) معطوف على يتكبرون، منتظم معه في حكم الصلة. والمعنى: سأصرف عن آياتي المتكبرين، التاركين للإيمان بما يرونه من الآيات، ويدخل تحت كل آية الآيات المنزلة، والآيات التكوينية، والمعجزات: أي لا يؤمنون بآية من الآيات كائنة ما كانت.

وقرأ مالك بن دينار(يُروا) بضم الياء – في الموضعين – وجملة: (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلًا) معطوفة على ما قبلها، داخلة في حكمها، وكذلك جملة: (وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلًا) والمعنى: أنهم إذا وجدوا سبيلا من سبل الرشد تركوه وتجنبوه، وإن رأوا سبيلا من سبل الغي سلكوه، واختاروه لأنفسهم.

وأصل الرشد في اللغة: أن يظفر الإنسان بما يريد، وهو ضد الخيبة، والإشارة بقوله: (ذلك) إلى الصرف: أي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم، أو الإشارة إلى التكبر وعدم الإيمان بالآيات، وتجنب سبيل الرشد، وسلوك سبيل الغي، واسم الإشارة مبتدأ، وخبره جملة بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها. والموصول في والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة مبتدأ، وخبره حبطت أعمالهم، والمراد بلقاء الآخرة: لقاء الدار الآخرة: أي لقائهم لها أو لقائهم ما وعدوا به فيها على أن الإضافة إلى الظرف.

وحباط الأعمال بطلانها: أي بطلان ما عملوه مما صورته صورة الطاعة، كالصدقة والصلة، وإن كانوا في حال كفرهم لا طاعات لهم، ويحتمل أن يراد أن تبطل بعدما كانت مرجوة النفع – على تقدير إسلامهم – لما في الحديث الصحيح: أسلمت على ما أسلفت من خير.

إيثار الدنيا على الآخرة من محبطات الأعمال:

ومما يحبط العمل: الاستغراق في الدنيا، والرغبة فيها، والزهد في الآخرة، والرغبة عنها:

- إما بالانهماك في الترف والملذات دون اعتبار لحسابٍ، أو مؤاخذة – ما يولد الجحد والاستباحة – وقد رأينا هذا كثيرًا في صنوف من المستغرقين في الدنيا، حتى باتوا يجهلون أبجديات الدين، كهذا (الفنان الكبير) الذي حملوه جثمانه للمسجد للصلاة عليه، فإذا به غير مغسل ولا مكفن؛ لطول بعد بيئته عما ينبغي لميت مسلم! وكهذا الذي اندهش لأن بعض المتدينين يقولون إن الخمر حرام!
- وإما بالتظاهر بالتدين لنيل الدنيا، والتربح من الدين، والقلب من الداخل قلب ذئب! ككثير من الدجاجلة الذين يزعمون معرفة الغيب، أو يرقون الناس برقىً كفرية وشركية، أو يستخدمون السحر ومخادعة الناس، ومظهرهم أحيانًا مظهر متدين، يتوسل بشكله الخارجي، لاصطياد ما في جيوب الناس!
- وإما باعتقاد نفاقي، ظاهره التدين، وباطنه الفساد، كأصحاب مسجد الضرار الذين بنوه كيدًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكبعض الجواسيس الذين يظهرون بمظهر التدين، لإيقاع الفتن، وضرب الناس بعضهم ببعض، وصناعة الصراعات، وتكوين تيارات مارقة لا يقصد منها إلا مكايدة الإسلام والمسلمين!

يقول الله تبارك وتعالى: (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها، وهم فيها لا يبخسون* أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار، وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) هود:15–16.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في هذه الآية: إن أهل الرياء يعطَون بحسناتهم في الدنيا، وذلك أنهم لا يظلمون نقيرًا، يقول: من عمل صالحًا التماس الدنيا، صومًا أو صلاة أو تهجدا بالليل، لا يعمله إلا التماس الدنيا، يقول الله: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعمله التماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين، وهكذا روي عن مجاهد، والضحاك، وغير واحد.

وقال أنس بن مالك، والحسن: نزلت في اليهود والنصارى.

وقال مجاهد وغيره: نزلت في أهل الرياء

وقال قتادة: من كانت الدنيا همه وسدمه وطلبته ونيته، جازاه الله بحسناته في الدنيا، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء. وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة

وقال تعالى: في المعنى ذاته: (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء – لمن نريد – ثم جعلنا له جهنم، يصلاها مذمومًا مدحورًا* ومن أراد الآخرة، وسعى لها سعيها – وهو مؤمن – فأولئك كان سعيهم مشكورًا* كلًا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورًا* انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا) الإسراء: 18 – 21، وقال تعالى: (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها، وما له في الآخرة من نصيب) الشورى: 20!

التشبه بأعداء الله تعالى، وإيثار العاجلة على الآجلة من المحبطات:

كثيرًا ما تستغرق الدنيا وبريقها قلب المرء وهمته وعمره، حتى ينسى بديهيات دينه، ويحاربه من حيث يظن أنه مسلم، بل خيرٌ إسلامًا من أكبر علماء الدنيا، ومن أكثر الناس انضباطًا واستقامة! ككثير ممن أولئكم الذين

انشغلوا بما يسمى بالفن والأدب والسلطة، بل إنهم يجندون طاقاتهم وجهودهم في تعميق حب الدنيا والشهوات في نفوس غيرهم، ويدافعون عن سفههم وإفكهم، بضراوة تصل إلى التسبب في مقاتل عظيمة، دفاعًا عن مكاسبهم وإفكهم الذي يفترون!

بل ربما اعتبروا حربهم على الشريعة جهادًا وشرفًا وبطولة، كالراقصة التي تتمنى أن تموت في حلبة الرقص، أو المغنية شبه العارية التي تتمنى أن تقضي على المسرح، أو الممثلة ألتي أشبعت عيون الأمة عريًا وتأوها وإثارة، واثقة أنها أشرف من أشرف، وأهدى من الهداية، وأنقى من ماء السحاب!

يقول الله تبارك وتعالى: (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادًا، فاستمتعوا بخلاقهم، فاستمتعتم بخلاقكم، كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم، وخضتم كالذي خاضوا، أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك هم الخاسرون) التوبة:69.

قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: أصاب هؤلاء من عذاب الله في الدنيا والآخرة كما أصاب من قبلهم، وقد كانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالًا وأولادًا، (فاستمتعوا بخلاقهم) قال الحسن البصري : بدينهم، (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا) أي: في الكذب والباطل، (أولئك حبطت أعمالهم) أي: بطلت مساعيهم، فلا ثواب لهم عليها لأنها فاسدة (في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) لأنهم لم يحصل لهم عليها ثواب، قال..... عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم: في قوله: (كالذين من قبلكم) الآية، قال ابن عباس: ما أشبه الليلة بالبارحة؛ هؤلاء بنو إسرائيل، شبهنا بهم، لا أعلم إلا أنه قال: والذي نفسي بيده، لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه.

قال ابن جريج: ..... عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :– والذي نفسي بيده، لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع،

وباعا بباع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ أهل الكتاب؟ قال: فمه؟!

وهكذا....عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وزاد: قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم القرآن: (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالًا وأولادًا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) !

ويقول صاحب الظلال عن ذلك:

والقرآن يذكر القوم بما كان من أسلافهم، ويبصرهم بأنهم يسلكون طريقهم، ويحذرهم أن يلاقوا مصيرهم. لعلهم يهتدون: (كالذين من قبلكم:كانوا أشد منكم قوة، وأكثر أموالًا وأولادًا، فاستمتعوا بخلاقهم. فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم، وخضتم كالذي خاضوا؛ أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك هم الخاسرون)!

إنها الفتنة بالقوة، والفتنة بالأموال والأولاد!

فأما الذين اتصلت قلوبهم بالقوة الكبرى فهم لا يفتنون بالقوة العارضة التي تخول لهم في الأرض، لأنهم يخشون من هو أقوى، فينفقون قوتهم في طاعته وإعلاء كلمته.

وهم لا يفتنون بالأموال والأولاد؛ لأنهم يذكرون من أنعم عليهم بالأموال والأولاد، فيحرصون على شكر نعمته، وتوجيه أموالهم وأولادهم إلى طاعته!

وأما الذين انحرفت قلوبهم عن مصدر القوة والنعمة فهم يبطرون ويفجرون في الأرض، ويتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام: (أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) وبطلت بطلانًا أساسيًا؛ لأنها كالنبتة بلا جذور، لا تستقر ولا تنمو ولا تزدهر. (وأولئك هم الخاسرون) الذين خسروا كل شيء على وجه الإجمال بلا تحديد ولا تفصيل!

ويلتفت السياق من خطابهم إلى خطاب عام، كانما يعجب من هؤلاء الذين يسيرون في طريق الهالكين ولا يعتبرون: (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم: قوم نوح وعاد وثمود وقوم

إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات؟ أتتهم رسلهم بالبينات، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)!

هؤلاء الذين يستمتعون غير شاعرين، ويسيرون في طريق الهلكى ولا يتعظون، هؤلاء (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم) ممن ساروا في نفس الطريق؟ (قوم نوح) وقد غمرهم الطوفان، وطواهم اليم في تيار الفناء المرهوب (وعاد) وقد أهلكوا بريح صرصر عاتية (وثمود) وقد أخذتهم الصيحة (وقوم إبراهيم) وقد أهلك طاغيتهم المتجبر وأنجى إبراهيم (وأصحاب مدين) وقد أصابتهم الرجفة، وخنقتهم الظلة (والمؤتفكات) قرى قوم لوط وقد قطع الله دابرهم إلا الأقلين؟ألم يأتهم نبأ هؤلاء الذين (أتتهم رسلهم بالبينات) فكذبوا بها، فأخذهم الله بذنوبهم: (فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)!؟

إن النفس المنحرفة تبطرها القوة فلا تذكر، وتعميها النعمة فلا تنظر. وما تنفع عظات الماضي ولا عبره إلا من تتفتح بصائرهم لإدراك سنة الله التي لا تتخلف، ولا تتوقف، ولا تحابي أحدًا من الناس. وإن كثيرًا ممن يبتليهم الله بالقوة وبالنعمة لتغشى أبصارهم وبصائرهم غشاوة، فلا يبصرون مصارع الأقوياء قبلهم، ولا يستشعرون مصير البغاة الطغاة من الغابرين. عندئذ تحق عليهم كلمة الله، وعندئذ تجري فيهم سنة الله، وعندئذ يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر. وهم في نعمائهم يتقلبون، وبقوتهم يتخايلون. والله من ورائهم محيط.

إنها الغفلة والعمى والجهالة نراها تصاحب القوة والنعمة والرخاء، نراها في كل زمان وفي كل مكان. إلا من رحم الله من عباده المخلصين.

وفي مقابل المنافقين والكفار، يقف المؤمنون الصادقون. طبيعة غير الطبيعة، وسلوكًا غير السلوك، ومصيرًا غير المصير: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض: يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة؛ ويطيعيون الله ورسوله. أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم. وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من

تحتها الأنهار خالدين فيها، ومساكن طيبة في جنات عدن، ورضوان من الله أكبر، ذلك هو الفوز العظيم)!

فإذا كان المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض، إذا كانوا جبلة واحدة وطبيعة واحدة، فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض.

إن المنافقين والمنافقات – مع وحدة طبيعتهم – لا يبلغون أن يكونوا أولياء بعضهم لبعض؛ فالولاية تحتاج إلى شجاعة، وإلى نجدة، وإلى تعاون، وإلى تكاليف! وطبيعة النفاق تأبى هذا كله – ولو كان بين المنافقين أنفسهم – إن المنافقين أفراد ضعاف مهازيل، وليسوا جماعة متماسكة قوية متضامنة، على ما يبدو بينهم من تشابه في الطبيعة والخلق والسلوك. والتعبير القرآني الدقيق لا يغفل هذا المعنى في وصف هؤلاء وهؤلاء!

ويمكن التوسع في الموضوع من خلال كتابي عن التشبه، على هذا الرابط:

http://www.islamsyria.com/library.php?action=details&LID=428

الكفر باليوم الآخر ولقاء الله تبارك وتعالى من محبطات الأعمال:

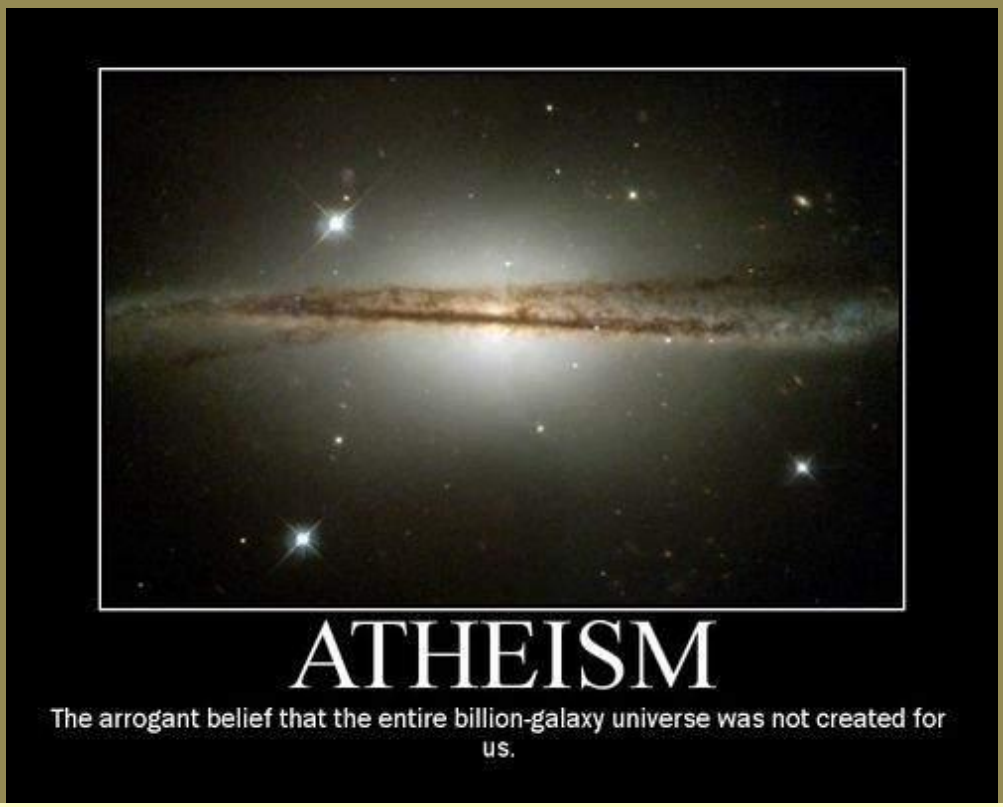

كل من لم يؤمن بالآخرة، والحساب، ولقاء الله تبارك وتعالى، فقد حبط عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين، وكثير من أصحاب الديانات الوضعية كذلك، يقولون (إن هي إلا حياتنا الدنيا) وإن هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع، وإن الحياة هي غاية الإنسان وأقصى مداه!

- **ضع في هذا السياق الملاحدة، والشيوعيين، والوجوديين، وصنوف الدهريين..**
- **وضع الأديان التي لا تؤمن بالقيامة، بل تقول بالفناء أو التناسخ كالبوذية والهندوسية والطاوية وما شابه..**
- **وضع معهم الشاكين في لقاء الله تعالى، والذين يقولون بألسنتهم ولا يؤمنون بفعالهم، كصاحب الجنتين الغني المليء الذي أعمته النعمة، حين رأى أملاكه وضياعه وجنانه، فقال: ما أظن أن تبيد هذه أبدًا، وما أظن الساعة قائمة و[لئن] رددت إلى ربي لأجدن خيرًا منها منقلبًا).**

يقول الله تبارك وتعالى: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالًا* الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا* أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا) الكهف: 103–105.

قال الإمام البغوي في تفسيره:

هم الذين أتعبوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلًا ونوالًا، فنالوا هلاكًا وبوارًا، كمن يشتري سلعة يرجو عليها ربحًا فخسر وخاب سعيه! واختلفوا فيهم:

قال ابن عباس وسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهم: هم اليهود والنصارى.

وقيل: هم الرهبان (الذين) حبسوا أنفسهم في الصوامع.

وقال سيدي علي بن أبي طالب: رضي الله تعالى عنه رضي الله تعالى عنه وأرضاه: هم أهل حروراء (الخوارج)!

(ضل سعيهم) بطل عملهم واجتهادهم (في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا) أي عملًا (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت) بطلت (أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا) أي لا نجعل لهم خطرًا وقدرًا، تقول العرب: ما لفلان عندي وزن، أي: قدر؛ لخسته.

أخبرنا.... عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ليأتين الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة؛ اقرؤوا إن شئتم: فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا)!

قال أبو سعيد الخدري: يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة، فإذا وزنوها لم تزن شيئًا،فذلك قوله تعالى: (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا)!

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى في فتح القدير:

(قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا؟* الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا* أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، فحبطت أعمالهم، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا* ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي

هزوًا)! معنى كفرهم بآيات ربهم: كفرهم بدلائل توحيده من الآيات التكوينية والتنزيلية، ومعنى كفرهم بلقائه: كفرهم بالبعث وما بعده من أمور الآخرة، ثم رتب على ذلك قوله: (فحبطت أعمالهم) أي: التي عملوها مما يظنونه حسنًا، وهو خسران وضلال، ثم حكم عليهم بقوله: (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا) أي: لا يكون لهم عندنا قدر، ولا نعبأ بهم، وقيل: لا يقام لهم ميزان توزن به أعمالهم؛ لأن ذلك إنما يكون لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين، وهؤلاء لا حسنات لهم!

ثم بين سبحانه عاقبة هؤلاء وما يؤول إليه أمرهم فقال: (ذلك) أي: الذي ذكرناه من أنواع الوعيد جزاؤهم، ويكون قوله: (جهنم) عطف بيان للجزاء، أو جملة (جزاؤهم جهنم) مبتدأ وخبر والجملة خبر ذلك، والسبب في ذلك أنهم ضموا إلى الكفر اتخاذ آيات الله واتخاذ رسله هزوًا، فالباء في (بما كفروا) للسببية، ومعنى كونهم هزوا: أنهم مهزوء بهم.

وقد اختلف السلف في تعيين هؤلاء الأخسرين أعمالًا، فقيل: اليهود والنصارى، وقيل: كفار مكة، وقيل: الخوارج، وقيل: الرهبان أصحاب الصوامع!

والأولى حمل الآية على العموم لكل من اتصف بتلك الصفات المذكورة.

وأخرج البخاري وغيره من طريق مصعب بن سعد قال: سألت أبي عن قوله تعالى: (هل ننبئكم بالأخسرين أعمالًا) أهم الحرورية؟

قال: لا، هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم، وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، وكان سعد يسميهم: الفاسقين.

وأخرج ابن المنذر وغيره عن أبي حميصة عبد الله بن قيس قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول في هذه الآية: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالًا): إنهم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في السواري.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة) اقرؤوا إن شئتم: (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا)!

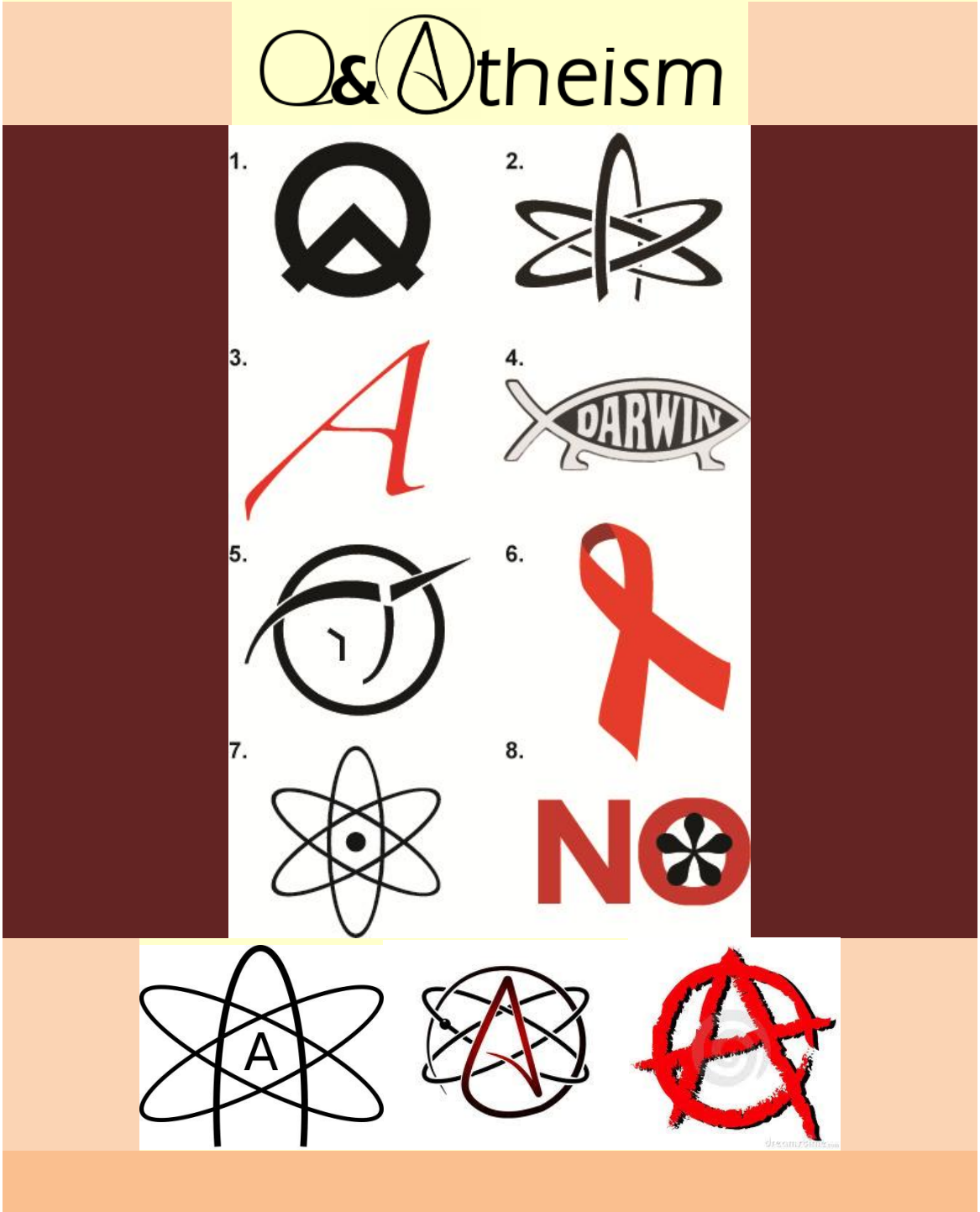

التقدم على الكتاب والسنة وتأخيرهما من محبطات الأعمال:

درج كثير من أشباه المتعلمين في زماننا الغريب، أو الذين لا يحملون أي قدر من العلم الشرعي، على التطاول على مقام النبوة، والحط من قدر السنة المشرفة، والغمز في سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الفضيلة والوسيلة والدرجة العالية الرفيعة، مدعين الاستنارة والانفتاح، زاعمين أنهم أفهم للدين وأبصر بروح الإسلام ممن قطعوا أعمارهم في درسه وتطبيقه والتخلق بأخلاقه، وقد أخبرنا الله تعالى أن هؤلاء البشر إذا قدموا على ربهم تبارك وتعالى، لن يجدوا أعمالًا تنفعهم عند الله عز وجل، بل يجدون الله فيوفيهم حسابهم، والله سريع الحساب، يقول الله تبارك وتعالى في ثانية آيات الحجرات:

(يأيها الذين آمنوا: لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض؛ أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) الحجرات:2

قال الإمام القرطبي (باختصار شديد مني):

فيه ست مسائل: الأولى: روى البخاري والترمذي عن ابن أبي مليكة قال: حدثني ابن الزبير أن الأقرع بن حابس قدم على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر: يا رسول الله استعمله على قومه، فقال عمر: لا تستعمله يا رسول الله!

فتكلما عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى ارتفعت أصواتهما، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي. فقال عمر: ما أردت خلافك، فنزلت هذه الآية: (يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي)!

فكان عمر بعد ذلك إذا تكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمع كلامه حتى يستفهمه.

وذكر المهدوي عن علي رضي الله عنه: نزل قوله: (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي فينا) لما ارتفعت أصواتنا أنا وجعفر وزيد بن حارثة، نتنازع ابنة حمزة، لما جاء بها زيد من مكة، فقضى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لجعفر؛ لأن خالتها عنده، وقد تقدم هذا الحديث في (آل عمران).

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسًا في بيته منكسًا رأسه، فقال له: ما شأنك؟ ف

قال: شر! كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، فقد حبط عمله وهو من أهل النار.

فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه قال كذا وكذا.

فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة)!

الثانية: قوله تعالى: (ولا تجهروا له بالقول) أي لا تخاطبوه: يا محمد، ويا أحمد، ولكن: يا نبي الله، ويا رسول الله، توقيرًا له صلى الله عليه وسلم.

وقيل: كان المنافقون يرفعون أصواتهم عند النبي صلى الله عليه وسلم ليقتدي بهم ضعفة المسلمين، فنهي المسلمون عن ذلك.

وقيل: لا تجهروا له أي: لا تجهروا عليه، كما يقال: سقط لفيه، أي: على فيه، أي: لا تجهروا له جهرًا مثل جهر بعضكم لبعض. وفي هذا دليل على أنهم لم ينهوا عن الجهر

مطلقًا حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالهمس والمخافتة، وإنما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة، أعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منهم فيما بينهم، وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة، وجلالة مقدارها، وانحطاط سائر الرتب – وإن جلت – عن رتبتها.

(أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) أي من أجل أن تحبط، أي: تبطل، هذا قول البصريين. وقال الكوفيون: أي: لئلا تحبط أعمالكم.

الثالثة: معنى الآية الأمر بتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره، وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته، أي: إذا نطق ونطقتم فعليكم ألا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته، وأن تغضوا منها؛ بحيث يكون كلامه صلى الله عليه وسلم غالبًا لكلامكم، وجهره باهرًا لجهركم، حتى تكون مزيته عليكم لائحة، وسابقته واضحة، وامتيازه عن جمهوركم كشية الأبلق؛ لا أن تغمروا صوته بلغطكم، وتبهروا منطقه بصخبكم.

- وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عليه السلام.
- وكره بعض العلماء رفع الصوت في مجالس العلماء تشريفًا لهم، إذ هم ورثة الأنبياء.

الرابعة: قال القاضي أبو بكر بن العربي: حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتًا كحرمته حيًّا، وكلامه المأثور بعد موته في الرقعة مثال كلامه المسموع من لفظه؛ فإذا قرئ كلامه، وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به!

وقد نبه الله سبحانه على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى: (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) وكلامه صلى الله عليه وسلم من الوحي، وله من الحكمة مثل ما للقرآن، إلا معاني مستثناة، بيانها في كتب الفقه.

الخامسة: وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة؛ لأن ذلك كفر، والمخاطبون مؤمنون، وإنما الغرض صوت هو في نفسه، والمسموع من

جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء، فيتكلف الغض منه، ورده إلى حد يميل به إلى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير..

ولم يتناول النهي أيضًا رفع الصوت الذي يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ما كان منهم في حرب، أو مجادلة معاند، أو إرهاب عدو، أو ما أشبه ذلك؛ ففي الحديث أنه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين: (اصرخ بالناس)، وكان العباس أجهر الناس صوتًا.

السادسة: قال الزجاج: (أن تحبط أعمالكم) التقدير لأن تحبط، أي: فتحبط أعمالكم، فاللام المقدرة لام الصيرورة وليس قوله: أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون بموجب أن يكفر الإنسان وهو لا يعلم، فكما لا يكون الكافر مؤمنًا إلا باختياره الإيمان على الكفر، كذلك لا يكون المؤمن كافرًا من حيث لا يقصد إلى الكفر، ولا يختاره بإجماع. كذلك لا يكون الكافر كافرًا من حيث لا يعلم.

وينظر الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى من زوايا إضافية فيقول:

(يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله، واتقوا الله إن الله سميع عليم):

لا تقترحوا على الله ورسوله اقتراحًا، لا في خاصة أنفسكم، ولا في أمور الحياة من حولكم. ولا تقولوا في أمرٍ قبل قول الله تعالى فيه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا تقضوا في أمر لا ترجعون فيه إلى قول الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال قتادة: ذكر لنا أن ناسًا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا وكذا، لو صح كذا، فكره الله تعالى ذلك.

وقال العوفي: نهوا أن يتكلموا بين يديه صلى الله عليه وسلم.

وقال مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضي الله تعالى على لسانه.

وقال الضحاك: لا تقضوا أمرًا دون تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من شرائع دينكم.

وقال علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

فهو أدب نفسي مع الله ورسوله، وهو منهج في التلقي والتنفيذ، وهو أصل من أصول التشريع والعمل في الوقت ذاته، منبثق من تقوى الله، وراجع إليها؛ هذه التقوى النابعة من الشعور بأن الله سميع عليم، وكل ذلك في آية واحدة قصيرة، تلمس وتصور كل هذه الحقائق الأصيلة الكبيرة.

وكذلك تأدب المؤمنون مع ربهم تبارك وتعالى ومع رسولهم صلى الله عليه وسلم؛ فما عاد مقترح منهم يقترح على الله ورسوله؛ وما عاد واحد منهم يدلي برأي لم يطلب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدلي به؛ وما عاد أحد منهم يقضي برأيه في أمر أو حكم، إلا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله تبارك وتعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم!

روى أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة بإسناده عن معاذ رضي الله عنه حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم، حين بعثه إلى اليمن: (بم تحكم)؟

قال: بكتاب الله تعالى.

قال صلى الله عليه وسلم: (فإن لم تجد)؟

قال رضي الله تعالى عنه: بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلمز

قال صلى الله عليه وسلم: (فإن لم تجد)؟

قال رضي الله عنه: أجتهد رأيي!

فضرب في صدره وقال: (الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما يرضي رسول الله)!

وحتى لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألهم عن اليوم الذي هم فيه، والمكان الذي هم فيه – وهم يعلمونه حق العلم – فيتحرجون أن يجيبوا إلا بقولهم: الله ورسوله أعلم؛ خشية أن يكون في قولهم تقدم بين يدي الله ورسوله!

جاء في حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل في حجة الوداع: (أي شهر هذا)؟

قلنا: الله ورسوله أعلم!

فسكت صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: (أليس ذا الحجة)؟

قلنا: بلى!

قال صلى الله عليه وسلم: (أي بلد هذا)؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

فسكت صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. فقال: (أليس البلدة الحرام)؟

قلنا بلى!

قال صلى الله عليه وسلم: (فأي يوم هذا)؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

فسكت صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. فقال: (أليس يوم النحر)؟ قلنا بلى!.... إلخ!

فهذه صورة من الأدب، ومن التحرج، ومن التقوى، التي انتهى إليها المسلمون بعد سماعهم ذلك النداء، وذلك التوجيه، وتلك الإشارة إلى التقوى، تقوى الله السميع العليم.

والأدب الثاني هو أدبهم مع نبيهم في الحديث والخطاب؛ وتوقيرهم له في قلوبهم، توقيرًا ينعكس على نبراتهم وأصواتهم؛ ويميز شخص رسول الله بينهم، ويميز مجلسه فيهم؛ والله يدعوهم إليه بذلك النداء الحبيب، ويحذرهم من مخالفة ذلك التحذير الرهيب:

يأيها الذين آمنوا.. ليوقروا النبي الذي دعاهم إلى الإيمان.. أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون.. ليحذروا هذا المزلق الذي قد ينتهي بهم إلى حبوط أعمالهم، وهم غير شاعرين ولا عالمين، ليتقوه!

ولقد عمل في نفوسهم ذلك النداء الحبيب، وهذا التحذير المرهوب، عمله العميق الشديد:

قال البخاري: حدثنا.....عن ابن أبي مليكة. قال: كاد الخيران أن يهلكا – أبو بكر وعمر رضي الله عنهما – رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم (في السنة التاسعة من الهجرة) فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس رضي الله عنه، أخي بني مجاشع (أي ليؤمره عليهم) وأشار الآخر برجل آخر.

بهذا يربي الله قلوب عباده المختارين، ويعدها للأمر العظيم. الذي نهض به الصدر الأول على هدى من هذه التربية ونور.

وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتفعت أصواتهما، فجاء فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من أين أنتما؟

قالا: من أهل الطائف.

فقال رضي الله عنه: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربًا!

وعرف علماء هذه الأمة وقالوا: إنه يكره رفع الصوت عند قبره صلى الله عليه وسلم كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام؛ احترامًا له في كل حال.

ثم أشار إلى حادث وقع من وفد بني تميم حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام التاسع الذي سمي عام الوفود – لمجيء وفود العرب من كل مكان بعد فتح مكة، ودخولهم في الإسلام – وكانوا أعرابًا جفاة، فنادوا من وراء حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم المطلة على المسجد النبوي الشريف: يا محمد: اخرج لنا! فكره النبي صلى الله عليه وسلم هذه الجفوة وهذا الإزعاج. فنزل قوله تعالى: (إن الذين ينادونك من ورآء الحجرات أكثرهم لا يعقلون، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرًا لهم، والله غفور رحيم)!

فوصفهم الله بأن أكثرهم لا يعقلون. وكرّه إليهم النداء على هذه الصفة المنافية للأدب والتوقير اللائق بشخص النبي صلى الله عليه وسلم وحرمة رسول الله القائد والمربي. وبيّن لهم الأولى والأفضل وهو الصبر والأنتظار حتى يخرج إليهم. وحبب إليهم التوبة والإنابة، ورغبهم في المغفرة والرحمة!

وقد وعى المسلمون هذا الأدب الرفيع، وتجاوزوا به شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كل أستاذ وعالم؛ لا يزعجونه حتى يخرج إليهم؛ ولا يقتحمون عليه حتى يدعوهم!

يحكى عن أبي عبيد العالم الزاهد الراوية الثقة أنه قال: « ما دققت بابًا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه !

النفاق القلبي والإعلامي والسلوكي من محبطات الأعمال:

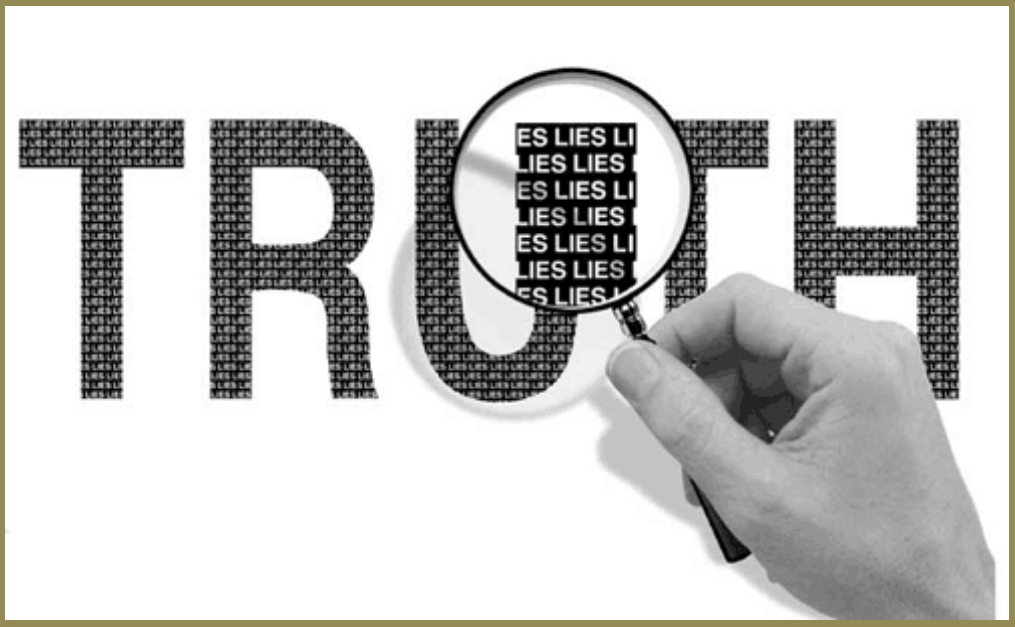

وكالكفر المعاصر يتسلح النفاق بأسلحة عاتية، وأساليب داهية، من المكر والمخادعة والبطش واللؤم، من أشدها الإعلام الذي يقود حملة تشويه الإسلام، والكيد له، وتقبيح التدين وآله، والطعن في ثوابت الدين، وقطعيات الملة!

ولن يخفى عند أول تأمل منهج هذا الإعلام – المحلي العربي الإسلامي – منذ عقود من تكريس للاستبداد، والفساد، ومناهج اللصوصية والاستعباد، ومقاومة كل صوت شريف، ومنهج عفيف، وتوجه وطني نظيف!

ويستحيل أن يقبل الله تعالى عمل أحد من هؤلاء، مهما أطلق من شعارات، ورفع من لافتات.. يقول الله تبارك وتعالى:

(قد يعلم الله المعوقين منكم، والقائلين لإخوانهم هلم إلينا، ولا يأتون البأس إلا قليلًا * أشحة عليكم؛ فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد، أشحة على الخير، أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم، وكان ذلك على الله يسيرًا(الأحزاب:18–19.

قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

يخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب، والقائلين لإخوانهم، أي: أصحابهم وعشرائهم وخلطائهم (هلم إلينا) أي: إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار، وهم مع ذلك (لا يأتون البأس إلا قليلا، أشحة عليكم) أي: بخلاء بالمودة، والشفقة عليكم.

وقال السدي: (أشحة عليكم) أي: في الغنائم.

(فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم، كالذي يغشى عليه من الموت) أي: من شدة خوفه وجزعه، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال (فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) أي: فإذا كان الأمن، تكلموا كلامًا بليغًا فصيحًا عاليًا، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك.

وقال قتادة: أما عند الغنيمة فأشح قوم، وأسوأه مقاسمة: أعطونا، أعطونا، قد شهدنا معكم! وأما عند البأس فأجبن قوم، وأخذله للحق. وهم مع ذلك أشحة على الخير، أي: ليس فيهم خير، قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير، فهم كما قال في أمثالهم الشاعر:

أفي السلم أعيارًا جفاء وغلظة وفي الحرب أمثال النساء العوارك؟!

أي: في حال المسالمة كأنهم الحمير. والأعيار: جمع عير، وهو الحمار، وفي الحرب كأنهم النساء الحيض؛ ولهذا قال تعالى: (أولئك لم يؤمنوا، فأحبط الله أعمالهم، وكان ذلك على الله يسيرًا)!

وفي هذا يقول صاحب الظلال:

ويبدأ هذا النص بتقرير علم الله المؤكد بالمعوقين الذين يسعون بالتخذيل في صفوف الجماعة المسلمة، الذين يدعون إخوانهم إلى القعود (ولا يأتون البأس إلا قليلًا) ولا يشهدون الجهاد إلا لمامًا؛ فهم مكشوفون لعلم الله، ومكرهم مكشوف!

ثم تأخذ الريشة المعجزة في رسم سمات هذا النموذج: (أشحة عليكم) ففي نفوسهم كزازة على المسلمين: كزازة بالجهد، وكزازة بالمال، وكزازة في العواطف والمشاعر على السواء.

(فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) وهي صورة شاخصة، واضحة الملامح، متحركة الجوارح، وهي في الوقت ذاته مضحكة، تثير السخرية من هذا الصنف الجبان، الذي تنطق أوصاله وجوارحه في لحظة الخوف بالجبن المرتعش الخوار!

وأشد إثارة للسخرية صورتهم بعد أن يذهب الخوف ويجيء الأمن (فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) فخرجوا من الجحور، وارتفعت أصواتهم بعد الارتعاش، وانتفخت أوداجهم بالعظمة، ونفشوا بعد الانزواء، وادعوا في غير حياء ما شاء لهم الادعاء: من البلاء في القتال، والفضل في الأعمال، والشجاعة والاستبسال، ثم هم: (أشحة على الخير)؛ فلا يبذلون للخير شيئًا من طاقتهم وجهدهم وأموالهم وأنفسهم؛ مع كل ذلك الادعاء العريض وكل ذلك التبجح وطول اللسان!

وهذا النموذج من الناس لا ينقطع في جيل ولا في قبيل، فهو موجود دائمًا!

وهو شجاع فصيح بارز حيثما كان هناك أمن ورخاء!

وهو جبان صامت منزو حيثما كان هناك شدة وخوف..

وهو شحيح بخيل على الخير وأهل الخير، لا ينالهم منه إلا سلاطة اللسان!

(أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم) فهذه هي العلة الأولى. العلة أن قلوبهم لم تخالطها بشاشة الإيمان، ولم تهتد بنوره، ولم تسلك منهجه (فأحبط الله أعمالهم) ولم ينجحوا لأن عنصر النجاح الأصيل ليس هناك!

(وكان ذلك على الله يسيرًا) وليس هنالك عسير على الله، وكان أمر الله مفعولًا!

كراهة كتاب الله تعالى.. أو سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم

واتباع ما أسخط الله تبارك وتعالى كذلك من محبطات الأعمال:

في المنافقين المعاصرين غلو في رفض الشريعة، وتطرف في محاربتها، وسوء أدب جم في الكذب عليها والافتراء، لا لشيء إلا لأنها تحرم ما استحلوا، وترفض ما استباحوا، وتسلط الضوء على نقائصهم وجرائرهم، وهم يريدون أن يحيوا حياتهم الدنيا مستمتعين بها، فاسدين فيها، ظالمين جبارين، بلا حدود ولا موانع، ولا محرمات ولا قيود، فتراهم يتصدون لكل مصلح، ويجبهون كل ولي، ويتنقصون كل داعية، ويتنادون عبر أجهزة الضرار: أخرجوا أولاء من بلادكم (إنهم أناس يتطهرون)!

وقد ذكر الله تعالى حالى أولئكم في سورة محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:8–9: (والذين كفروا فتعسًا لهم وأضل أعمالهم* ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) محمد:9.

قال صاحب الظلال: هو تصوير لما يعتمل في قلوبهم، ويختلج في نفوسهم من الكراهية لما أنزل الله من قرآن وشريعة ومنهج واتجاه! وهذا هو الذي يدفع بهم إلى الكفر والعناد والخصومة والملاحاة!

وهي حالة كثير من النفوس الفاسدة التي تكره بطبعها ذلك النهج السليم القويم، وتصادمه من داخلها، بحكم مغايرة طبيعتها لطبيعته.

وهي نفوس يلتقي بها الإنسان كثيرًا في كل زمان وفي كل مكان، ويحسن منها النفرة والكراهية لهذا الدين وما يتصل به؛ حتى إنها لتفزع من مجرد ذكره كما لو كانت قد لذعتها العقارب! وتتجنب أن يجيء ذكره أو الإشارة إليه فيما تسمع حولها من حديث! ولعلنا نشاهد في هذه الأيام حالة من هذا الطراز لا تخفى على الملاحظة!

وكان جزاء هذه الكراهية لما أنزل الله تعالى أن أحبط الله أعمالهم! وإحباط الأعمال تعبير تصوري على طريقة القرآن الكريم في التعبير بالتصوير؛ فالحبوط انتفاخ بطون الماشية عند أكلها نوعًا من المرعى سامًّا، ينتهي بها إلى الموت والهلاك، وكذلك انتفخت أعمالهم وورمت وانبعجت، ثم انتهت إلى الهلاك والضياع! إنها صورة وحركة، ونهاية مطابقة لحال من كرهوا ما أنزل الله، ثم تعاجبوا بالأعمال الضخام.

ومثلهم الذين يتبعون ما أسخط الله ويكرهون رضوانه فأحبط أعمالهم:

قال في التحرير والتنوير في قوله تعالى: (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم):

الإشارة بذلك إلى الموت الفظيع الذي دل عليه قوله تعالى: (فكيف إذا توفتهم الملائكة) واتباعهم ما أسخط الله: هو اتباعهم الشرك، والسخط مستعار لعدم الرضا بالفعل. وكراهتهم رضوان الله: كراهتهم أسباب رضوانه وهو الإسلام!

وفي ذكر اتباع ما أسخط الله وكراهة رضوانه محسن الطباق مرتين للمضادة بين السخط والرضوان، والاتباع والكراهية.

والجمع بين الإخبار عنهم باتباعهم ما أسخط الله وكراهتهم رضوانه مع إمكان الاجتزاء بأحدهما عن الآخر للإيماء إلى أن ضرب الملائكة وجوه هؤلاء مناسب لإقبالهم على ما أسخط الله، وأن ضربهم أدبارهم مناسب لكراهتهم رضوانه سبحانه؛ لأن الكراهة تستلزم الإعراض والإدبار، ففي الكلام أيضًا محسن اللف والنشر المرتب؛ فكان ذلك التعذيب مناسبًا لحالي توقيهم في الفرار من القتال، وللسببين الباعثين على ذلك التوقي.

وفرّع على اتباعهم ما أسخط الله وكراهتهم رضوانه قال: (فأحبط أعمالهم) فكان اتباعهم ما أسخط الله وكراهتهم رضوانه سببًا في الأمرين: ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند الوفاة، وإحباط أعمالهم.

والإحباط: إبطال العمل، أي أبطل انتفاعهم بأعمالهم التي عملوها مع المؤمنين من قول كلمة التوحيد ومن الصلاة والزكاة وغير ذلك!

وقال العلامة الطاهر بن عاشور أيضًا:

التقدير أن يسأل سائل عن مظهر تسويل الشيطان لهم الارتداد، بعد أن تبين لهم الهدى، فأجيب بأن الشيطان استدرجهم إلى الضلال، عندما تبين لهم الهدى، فسول لهم أن يوافقوا أهل الشرك والكفر في بعض الأمور مسولًا أن تلك الموافقة في بعض الأمر لا تنقض اهتداءهم! فلما وافقوهم وجدوا حلاوة ما ألفوه من الكفر فيما وافقوا فيه أهل الكفر، فأخذوا يعودون إلى الكفر المألوف حتى ارتدوا على أدبارهم!

وهذا شأن النفس في معاودة ما تحبه بعد الانقطاع عنه؛ إن كان الانقطاع قريب العهد!

فمعنى قالوا: قالوا قولًا عن اعتقاد ورأي، وإنما قالوا في بعض الأمر احترازًا لأنفسهم إذا لم يطيعوا في بعض!

والذين كرهوا ما نزل الله هم الذين كرهوا القرآن وكفروا، وهم:

إما المشركون من أهل مكة قال تعالى فيهم: (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) وقد كانت لهم صلة بأهل يثرب فلما هاجر النبيء صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد تعهد أهل مكة لأصحابهم من أهل يثرب، ليتطلعوا أحوال المسلمين. ولعلهم بعد يوم بدر كانوا يكيدون للمسلمين، ويتأهبون للثأر منهم الذي أنجزوه يوم أحد!

وإما اليهود من قريظة والنضير؛ فقد حكى الله عنهم في قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ...) فالمراد بـ (بعض الأمر) على الوجه الأول في محمل قوله سبحانه: (إن الذين ارتدوا على أدبارهم) إفشاء بعض أحوال المسلمين إليهم، وإشعارهم بوفرة عدد المنافقين؛ وإن كانوا لا يقاتلون لكراهتهم القتال!

والمراد بـ (بعض الأمر) على الوجه الثاني بعض أمر القتال، يعنون تلك المكيدة التي دبروها للانخزال عن جيش المسلمين!

والأمر هو: شأن الشرك وما يلائم أهله، أي نطيعكم في بعض الكفر، ولا نطيعكم في جميع الشؤون؛ لأن ذلك يفضح نفاقهم، أو المراد: في بعض ما تأمروننا به من إطلاق المصدر، وإرادة اسم المفعول كالخلق على المخلوق! وأيا ما كان فهم قالوا ذلك للمشركين سرًّا، فأطلع الله عليه نبيئه صلى الله عليه وسلم، ولذلك قال تعالى: (والله يعلم إسرارهم)!

الصد عن سبيل الله تعالى ومشاقة أهل الحق من المحبطات:

وأكثر مما سبق: أولئك الذين يجاهرون بالعداوة، ويصدون عن سبيل الله تعالى، ويشاقون دين الله تعالى، بعد أن قامت عليهم الحجة، وبان لهم السبيل، فاختاروا الشيطان على الرحمن، والعمى على الهدى، والكفر على الإيمان، وما أكثرهم عبر التاريخ، وما أكثر تنوعهم في زماننا: تختلف لافتاتهم، وتتنوع أعراقهم، وبلادهم، ويجمعهم جميعًا

بغض هذا الدين، والحرب عليه، بأشكال الحرب التي ابتكرها أبالسة البشر، يقول الله تبارك وتعالى: محمد:32-35:

(إن الذين كفروا، وصدوا عن سبيل الله، وشاقوا الرسول – من بعد ما تبين لهم الهدى – لن يضروا الله شيئًا، وسيحبط أعمالهم* يأيها الذين آمنوا: أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، ولا تبطلوا أعمالكم* إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، ثم ماتوا وهم كفار، فلن يغفر الله لهم* فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم، وأنتم الأعلون، والله معكم، ولن يتركم أعمالكم)!

قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: يخبر تعالى عمن كفر وصد عن سبيل الله، وخالف الرسول وشاقه، وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى: أنه لن يضر الله شيئًا، وإنما يضر نفسه، ويخسرها يوم معادها، وسيحبط الله عمله؛ فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله الذي عقبه بردته مثقال بعوضة من خير، بل يحبطه ويمحقه بالكلية، كما أن الحسنات يذهبن السيئات.

وقد قال الإمام محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة:.....عن أبي العالية رضي الله تعالى عنه قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يظنون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزلت: (أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، ولا تبطلوا أعمالكم) فخافوا أن يبطل الذنب العمل.

ثم روي من طريق عبد الله بن المبارك : أخبرني.... عن ابن عمر قال: كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أنه ليس شيء من الحسنات إلا مقبول، حتى نزلت: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فقلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟ فقلنا: الكبائر الموجبات والفواحش، حتى نزلت: (إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) النساء: 48، فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك، فكنا نخاف على من أصاب الكبائر والفواحش، ونرجو لمن لم يصبها.

ثم أمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله التي هي سعادتهم في الدنيا والآخرة، ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للأعمال؛ ولهذا قال سبحانه: (ولا تبطلوا أعمالكم) أي: بالردة ولهذا قال تعالى بعدها: (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) كقوله سبحانه: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) الآية.

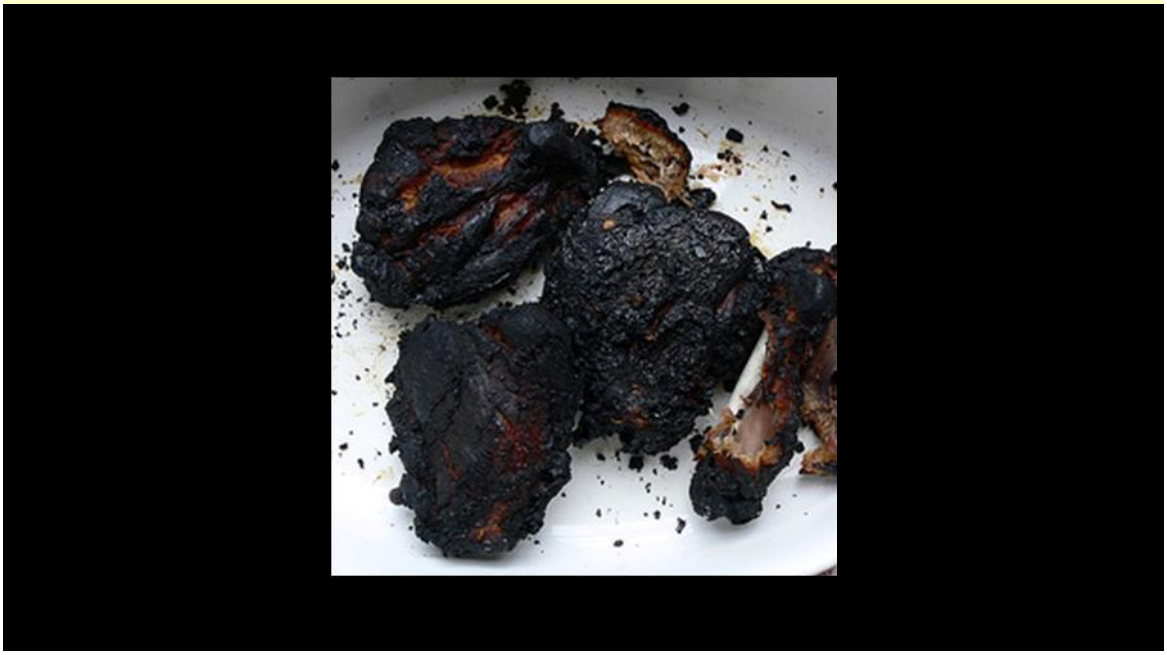

حبوط الأعمال في السنة المشرفة

حبوط الأعمال في السنة المشرفة

الحكم بالحبوط توقيفي يقضي به الله تعالى ورسوله الأعظم:

ليس لكل أحد أن يحكم بحبوط عمل مسلم، لأن الحكم لله تبارك وتعالى:

ففي البخاري وغيره عن سيدي سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال:

خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى خيبر، فقال رجل منهم: أسمعنا يا عامر من هنياتك، فحدا بهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من السائق). قالوا: عامر، فقال: (رحمه الله)!

فقالوا: يا رسول الله، هلا أمتعتنا به، فأصيب صبيحة ليلته، فقال القوم: حبط عمله، قتل نفسه!

فلما رجعت وهم يتحدثون أن عامرا حبط عمله، فجئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا نبي الله، فداك أبي وامي، زعموا أن عامرا حبط عمله!

فقال صلى الله عليه وسلم: (كذب من قالها، إن له لأجرين اثنين، إنه لجاهد مجاهد، وأي قتل يزيده عليه)!؟

ومعنى: (هلا أمتعتنا به) أي: وجبت له الشهادة بدعائك، فلو لم تدع له وتركته لنا، لنتمتع به.

ومعنى: (كذب) أخبر بخلاف الواقع!

(جاهد مجاهد) جاهد في الخير، مجاهد في سبيل الله تعالى..

(يزيده عليه) على الأجر الذي ناله عند الله عز وجل!

وفي رواية أخرى للبخاري عنه رضي الله تعالى عنه:

خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر، فسرنا ليلًا، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ – وكان عامر رجلا شاعرًا – فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا**

فاغفر فداء لك ما اقتفينا * وثبت الأقدام إن لاقينا**

وألقين سكينة علينا * إنا إذا صيح بنا أتينا**

وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من هذا السائق)!؟

قالوا: عامر بن الأكوع!

فقال صلى الله عليه وسلم: (يرحمه الله)!

فقال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله، لو أمتعتنا به!

قال: فأتينا خيبر فحاصرناهم، حتى أصابتنا مخمصة شديدة، ثم إن الله فتحها عليهم، فلما أمسى الناس اليوم الذي فتحت عليهم، أوقدوا نيرانًا كثيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما هذه النيران؟ على أي شيء توقدون؟)!

قالوا: على لحم!

قال صلى الله عليه وسلم: (على أي لحم)!

قالوا: على لحم حمر أنسية!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أهرقوها واكسروها)!

فقال رجل: يا رسول الله أو نهريقها ونغسلها؟ قال: (أو ذاك)!

فلما تصاف القوم، كان سيف عامر فيه قصر، فتناول به يهوديًّا ليضربه، ويرجع ذباب سيفه، فأصاب ركبة عامر فمات منه، فلما قفلوا قال سلمة: رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم شاحبًا، فقال لي: (ما لك)!؟

فقلت: فدى لك أبي وأمي، زعموا أن عامرا حبط عمله!

فقال لى الله عليه وسلم: (من قاله)؟

قلت: قاله فلان وفلان وفلان وأسيد بن الحضير الأنصاري!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كذب من قاله، إن له لأجرين – وجمع بين إصبعيه – إنه لجاهد مجاهد، قل عربي نشأ بها مثله) ويا لها من كرامة له رضي الله تعالى عنه!

النية وصلاح القلوب أساس في القبول أو الحبوط:

ففي البخاري وغيره من حديث سيدي النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: (الحلال بين والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس؛ فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)!

وفي الصحيحين عن سيدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)!

لزوم الاهتمام بأولويات الشريعة حتى لا تحبط الأعمال:

ففي صحيح الجامع وغيره عن سيدي معاوية رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (إنما الأعمال كالوعاء، إذا طاب أسفله طاب أعلاه، وإذا فسد أسفله فسد أعلاه)!

وفي الترغيب والترهيب وغيره مرفوعًا:

(أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة؛ فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله)!

هناك دومًا من يحذرون الناس من محبطات الأعمال:

ففي مسلم وغيره عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا، فطوبى للغرباء) وفي روايةٍ (في مجمع الزوائد وغيره): قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: (الذين يصلحون إذا فسد الناس)، وفي لفظٍ آخرَ (عند الترمذي وغيره) قال صلى الله عليه وسلم: (هم الذين يُصلِحون ما أفسد الناسُ من سنتي)

وفي مسلم وغيره عن سيدي ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)!

لا يجوز أن نفعل ما يبطل أو يحبط الأعمال:

ففي مسلم وغيره عن سيدي عبد الله بن سرجس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر قال: (اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال)!

والحور بعد الكور: النقصان بعد الزيادة!

وقيل: هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر..

أو من الطاعة إلى المعصية..

أو الرجوع من شيء إلى شيء من الشر..

وقيل: الرجوع عن حالة مستقرة جميلة، كما في شرح النووي على مسلم!

وفي إرواء الغليل بسند صحيح عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: إذا جامع المعتكف بطل اعتكافه واستأنف الاعتكاف!

وفي السنن الكبرى والمهذب وغيرهما بسند صحيح عن سيدي عكرمة رضي الله تعالى عنه أن رجلًا وأمرأته من قريش لقيا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بطريق المدينة، فقال: أصبت أهلي!

فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أما حجكما هذا فقد بطل؛ فحجا عامًا قابلًا، ثم أهلا من حيث أهللتما، حتى إذا بلغتما حيث وقعت عليها ففارقها، فلا تراك ولا تراها حتى ترميا الجمرة، وأهد ناقة، ولتهد ناقة!

إرادة غير وجه الله تعالى من محبطات الأعمال:

وقد يكون ما يقصده بعضهم – غير وجه الله تعالى: دنيا يصيبها، أو قربًا من سلطان، أو صفة ليتصف بها، أو جاهًا يحرزه، أو تشبعًا بما لم يعط، أو صرفًا لوجوه الناس إليه، ونحو ذلك من المقاصد التي تقتحم على الإنسان نيته فتفسدها!

ففي صحيح الموارد بسند صحيح عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا:

إن الله تبارك وتعالى – إذا كان يوم القيامة – ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به:

رجل جمع القرآن، ورجل يقتل في سبيل الله، ورجل كثير المال!

فيقول الله تبارك وتعالى للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي صلى الله عليه وسلم؟!

قال: بلى يا رب!

قال تبارك وتعالى: فماذا عملت فيما علمت؟

قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار.

فيقول الله تبارك وتعالى له: كذبت! وتقول له الملائكة: كذبت! ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان قارئ، وقد قيل ذلك.

ويؤتى بصاحب المال، فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟!

قال: بلى يا رب!

قال تبارك وتعالى: فماذا عملت فيما آتيتك؟

قال: كنت أصل الرحم وأتصدق!

فيقول الله له: (كذبت)! وتقول له الملائكة: كذبت! ويقول الله عز وجل: (أردت أن يقال: فلان جواد، فقد قيل ذلك)!

ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقال له: في ماذا قتلت؟

فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتى قتلت.

فيقول الله له علا وعز وجل: (كذبت)! وتقول له الملائكة: كذبت! ويقول الله تبارك وتعالى: بل أردت أن يقال: فلان جريء، فقد قيل ذاك.

ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي، ثم قال: (يا أبا هريرة! أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة)!

قال الوليد ابن أبي الوليد: أخبرني عقبة أن شُفيًّا هو الذي دخل على معاوية رضي الله تعالى عنه، فأخبره بهذا الخبر. قال أبو عثمان الوليد: وحدثني العلاء بن [أبي] حكيم: أنه كان سيافًا لمعاوية، قال: فدخل عليه رجل فحدثه بهذا عن أبي هريرة، فقال معاوية:

قد فعل بهؤلاء مثل هذا، فكيف بمن بقي من الناس؟!

ثم بكى معاوية رضي الله تعالى عنه بكاءً شديدًا؛ حتى ظننا أنه هالك، فقلنا: قد جاءنا هذا الرجل بشر، ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه فقال: صدق الله ورسوله: (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها، وهم فيها لا يبخسون* أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار، وحبط ما صنعوا فيها، وباطل ما كانوا يعملون)!

رفع الصوت والتقديم بين يديه صلى الله عليه وسلم من محبطات الأعمال:

ففي البخاري وغيره عن سيدي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه، فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه! فأتاه فوجده جالسًا في بيته، منكسًا رأسه، فقال: ما شأنك؟

فقال: شر! كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد حبط عمله وهو من أهل النار!

فأتى الرجل فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال كذا وكذا، فرجع الرجل المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال: اذهب إليه فقل له: (إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة)!

وفي سنن الدار قطني وإرواء الغليل وغيرهما بسند صحيح عن جد عمرو بن شعيب أن رجلا طعن رجلا بقرن في ركبته، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله: أقدني، فقال صلى الله عليه وسلم: (حتى تبرأ)!

ثم جاء إليه، فقال: أقدني، فأقاده، ثم جاء إليه، فقال: يا رسول الله: عرجت!

قال صلى الله عليه وسلم: (قد نهيتك فعصيتني، فأبعدك الله وبطل عرجك)! ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتص من جرح حتى يبرأ صاحبه!

ترك صلاة العصر من محبطات الأعمال:

ففي البخاري عن أبي المليح رضي الله تعالى عنه قال:

كنا مع بريدة في غزوة في يوم ذي غيم، فقال: بكروا بصلاة العصر؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله).

إتيان الدجاجلة والعرافين من محبطات الأعمال:

ففي صحيح مسلم عن سيدي المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومًا).

وفي سنن الترمذي عن سيدي المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد)!

فلينظر الذي يصدقون الأبراج، وقارئي البخت، ومتابعو قنوات الدجل، وصحافة البلاهة، وزبائن المنجمين الذين يخادعون الناس ويكذبون على رب العالمين تبارك وتعالى!

اقتناء الكلاب من محبطات الأعمال:

وإذا كانت الكلاب ثقافة في بعض الحضارات، وإذا كان ابن المرزبان المحولي كتب كتابًا في تفضيل الكلاب علي كثير ممن لبس الثياب، أورد فيه مجموعة من الأبيات الشعرية والأقوال التي تبين وفاء الكلاب مع أصحابها، وأنها بوفائها وإخلاصها قد تفضل بعض من (لبس الثياب) أي البشر مثل قوله:

لَكلب الناس إن فكرت فيهم	أضر عليك من كلب الكلاب
لأن الكلب تخسؤه فيخسا	وكلب الناس يربض للعتاب
وإن الكلب لا يؤذي جليسًا	وأنت الدهر من ذا في عذاب

ومع هذا فليس من ثقافة المسلم اقتناء الكلاب؛ إلا لمهام شرطوية أمنية، كتتبع المخدرات والمجرمين أو لحراسة أو زرع أو نحو ذلك،

ففي الصحيحين عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (من أمسك كلبا فإنه ينقص من عمله كل يوم قيراط؛ إلا كلب حرث أو ماشية)

وفي ذلك تفضيل أورد ابن حجر في فتح الباري في شرح الحديث في كتاب المزارعة، حين قال:

والأصح عن الشافعية إباحة اتخاذ الكلاب لحفظ الدرب؛ إلحاقًا للمنصوص بما في معناه، كما أشار إليه ابن عبد البر..

واتفقوا على أن المأذون في اتخاذه ما لم يحصل الاتفاق على قتله، وهو الكلب العقور، وأما غير العقور فقد اختلف هل يجوز قتله مطلقًا أم لا؟

واستدل به على جواز تربية الجرو الصغير لأجل المنفعة التي يؤول أمره إليها إذا كبر، ويكون القصد لذلك قائمًا مقام وجود المنفعة به، كما يجوز بيع ما لم ينتفع به في الحال لكونه ينتفع به في المآل، واستدل به على طهارة الكلب الجائز اتخاذه؛ لأن في ملابسته

مع الاحتراز عنه مشقة شديدة، فالإذن في اتخاذه إذن في مكملات مقصوده، كما أن المنع من لوازمه مناسب للمنع منه، وهو استدلال قوي لا يعارضه إلا عموم الخبر الوارد في الأمر من غسل ما ولغ فيه الكلب من غير تفصيل، وتخصيص العموم غير مستنكر إذا سوغه الدليل!

وفي الحديث فوائد منها..... وبيان لطف الله تعالى بخلقه في إباحة ما لهم به نفع، وتبليغ نبيهم صلى الله عليه وسلم لهم أمور معاشهم ومعادهم، وفيه ترجيح المصلحة الراجحة على المفسدة ؛لوقوع استثناء ما ينتفع به مما حرم اتخاذه .

انتهاك المحارم في الخلوات من المحبطات:

ومما قد يحبط عمل أحدنا أن ينتهك المحارم إذا هو خلا، وصار بعيدًا عن العيون!

ففي صحيح سنن ابن ماجه وغيره عن سيدي ثوبان رضي الله تعالى عنه، مرفوعًا: (لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا يجعلها الله عز وجل هباءً منثورًا)!

قال ثوبان رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله صفهم لنا، جلهم لنا؛ أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل ما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها)!

قال الشيخ المنجد نقلا عن العلامة محمد المختار الشنقيطي حفظه الله:

أي: أن عندهم استهتارًا، واستخفافًا بالله عز وجل، فهناك فرق بين المعصية التي تأتي مع الانكسار، والمعصية التي تأتي بغير انكسار، بين شخص يعصي الله في ستر، وبين شخص عنده جرأة على الله عز وجل، فصارت حسناته في العلانية أشبه بالرياء، وإن كانت أمثال الجبال، فإذا كان بين الصالحين: أحسن أيما إحسانٍ ؛ لأنه يرجو الناس ولا يرجو الله تبارك وتعالى، فيأتي بحسنات كأمثال الجبال، فظاهرها حسنات، (لكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها) فهم في السر لا يرجون لله وقارًا، ولا يخافون من الله سبحانه وتعالى،

بخلاف من يفعل المعصية في السر وقلبه منكسر، ويكره هذه المعصية، ويمقتها، ويرزقه الله الندم، فالشخص الذي يفعل المعصية في السر وعنده الندم، والحرقة، ويتألم: فهذا ليس ممن ينتهك محارم الله عز وجل ؛ لأنه – في الأصل – معظِّم لشعائر الله، لكن غلبته شهوته، فينكسر لها!

أما الآخر: فيتسم بالوقاحة، والجرأة على الله ؛ لأن الشرع لا يتحدث عن شخص، أو شخصين، ولا يتحدث عن نص محدد، إنما يعطي الأوصاف كاملة .

من الناس من إذا خلا بالمعصية: خلا بها جريئًا على الله، ومنهم من يخلو بالمعصية، وهو تحت قهر الشهوة، وسلطان الشهوة، ولو أنه أمعن النظر وتريث: ربما غلب إيمانُه شهوتَه، وحال بينه وبين المعصية، لكن الشهوة أعمته، والشهوة قد تعمي وتصم، فلا يسمع نصيحة، ولا يرعوي، فيهجم على المعصية فيستزله الشيطان، قال تعالى: (إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا، ولقد عفا الله عنهم) آل عمران/ 155، فإذا حصل الاستزلال من الشيطان، فزلت قدم العبد، لكن في قرارة قلبه الاعتراف بالمعصية، والله يعلم أنه لما وقع في المعصية أنه نادم، وأنه كاره لها، حتى إن بعضهم يفعل المعصية وهو في قرارة قلبه يتمنى أنه مات قبل أن يفعلها: فهذا معظِّم لله عز وجل، ولكنه لم يرزق من الإيمان ما يحول بينه وبين المعصية، وقد يكون سبب ابتلاء الله له أنه عير أحدًا، أو أنه عق والدًا، أو قطع رحمه، فحجب الله عنه رحمته، أو آذى عالمًا، أو وقع في أذية ولي من أولياء الله، فآذنه الله بحرب، فأصبح حاله حال المخذول، مع أنه في قرارة قلبه لا يرضى بهذا الشيء ... .

إيذاء العباد من المحبطات:

من أكبر المحبطات ومضيعات الأجر: أكل الحرام، واستباحة جهد الناس وحقوقهم، ففي مسلم وغيره عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: (أتدرون من المفلس)؟

قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا،وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقعد فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقتص ما عليه؛ أخذ من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه، ثم طرح في النار)!

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: معناه أنَّ هذا حقيقة المفلس، وأما من ليس له مال ومن قلَّ ماله فالناس يسمونه مفلسًا، وليس هو حقيقة المفلس، لأنَّ هذا أمرٌ يزول، وينقطع بموته، وربما ينقطع بيَسارٍ يحصل له بعد ذلك في حياته، وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المنقطع، فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فتمَّت خسارته وهلاكه وإفلاسه.

محبطات أخرى للأعمال:

وهناك أسباب أخرى يحبط بها العمل، ويذهب سدى، كنت جمعت بعضها في رسالتي: لماذا لا يستجاب دعاؤنا، أسوق هنا بعضها لكونها في سياق ما نقول:

ثلاثة لا يستجيب الله تعالى دعاءهم:

ثلاثة رجال:

وهناك أسباب أخرى يحبط بها العمل ويضيع هباء منثورًا، منها ما ورد في صحيح الجامع وغيره، عن سيدي أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال:

(ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل كان له على رجل مال فلم يُشهد عليه، ورجل آتى سفيهًا ماله، وقد قال الله عز وجل:(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) النساء: 5.

وعدم استجابة دعاء هؤلاء إنما هو في خصومهم المذكورين في الحديث.

قال المُناوي في فيض القدير:

رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، فإذا دعا عليها لا يستجيب له؛ لأنه المعذب نفسه بمعاشرتها، وهو في سعة من فراقها!

ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه فأنكره، فإذا دعا لا يُستجاب له؛ لأنه المفرط المقصِّر بعدم امتثال قوله تعالى:(واستشهدوا شهيدين من رجالكم) البقرة:282،

ورجل آتى سفيهًا – أي محجورًا عليه بسفَهٍ – ماله، أي شيئًا من ماله، مع علمه بالحجر عليه، فإذا دعا عليه لا يستجاب له؛ لأنه المضيع لماله؛ فلا عذر له!

وقال الشيخ مشهور حسن سلمان في جواب عن سؤال: هل يفيد هذا الحديث وجوب طلاق المرأة السيئة الخلق، ووجوب كتابة الدين والإشهاد عليه؟

الجواب: نعم؛ فكتابة الدين واجبة؛ وهذا مذهب الحنابلة وهو أرجح الأقوال – على خلاف مستفيض في المسألة – وهو ظاهر القرآن، إلا إن وجد الرهن، أو إن كان الشيء قليلًا يتساهل الناس فيه إن لم يقض، وهو ليس من باب الدين، وأرى إلحاق صورة ثالثة، لو أن رجلًا أعطى آخر دينًا، وهو في نيته أن يتصدق عليه إن لم يرجعه، فما كتب لهذا الملحظ فهذا الأمر واسع.

أما المرأة السيئة الخلق فتطلق، وسوء الخلق له معانٍ كثيرة: الشتم، واللعن، والشكوى، وعدم الرضا، وإظهار القبائح والسيئات، وعدم العفو عن الزلات، والتقصير البشري المعتاد وما شابه، وفي قصة إبراهيم عليه السلام، مع زوجة ابنه إسماعيل لما سألها عن حالها، قالت: نحن في أسوأ حال، وفي شر حال، وشكت منه، فهذا سوء خلق، فقال إبراهيم عليه السلام: إن جاء إسماعيل فأقرئيه السلام، وأخبريه أن أباك يأمرك أن تغير عتبة بابك، فجاء فأخبرته الخبر، فقال لها إسماعيل: إن أبي يأمرني أن أطلقك، فطلقها!

ويقع بين الأزواج ما وقع بين النبي وأزواجه، واعتزل النبي صلى الله عليه وسلم أزواجه جميعًا في المسجد شهرًا كاملًا، وخرج عليهم في اليوم الثلاثين، فلما قيل له: لم تتم الشهر، قال:(الشهر تسع وعشرون)، لكن تكون الحياة في الجملة على وجه فيه خير وتقدير واحترام.

ومن أسباب استقرار حياة الأزواج، أن يحترم الزوج أهل زوجته، وأن تحترم الزوجة أهل زوجها، فلا يذكر الزوج أهل زوجته إلا بخير، وألا تذكر الزوجة أهل زوجها إلا بخير، وأن يحترم الصغير الكبير، وأن يعرف حقه، فتعلم الزوجة أن حماها بمثابة أبيها، ويعلم الزوج أن حماه بمثابة أبيه، فإن وجد هذا فما بعده هين، أما إن غابت هذه الأخلاق، ولم يحترم الصغير الكبير، واعتدى عليه، ولم يوقره، فهذا من أهم أسباب الطلاق في هذا الزمان، والله أعلم.

وثلاثة رجال:

وثلاثة آخرون لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم؛ أي لا يقبل الله منهم صلاة ولا دعاء – ومن معاني الصلاة في اللغة: الدعاء – وهم: العبد الفارّ من سيده(وهذا أمر انتهى بنهاية العبودية بحمد الله تبارك وتعالى) والمرأة التي تغضب زوجها وتؤذيه، والرجل الذي يؤم قومًا – في الصلاة وغيرها والله أعلم – وهم لا يرضون إمامته، ويكرهونها..

ففي صحيح سنن الترمذي وغيره عن سيدي أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه مرفوعًا:(ثلاثة لا تجاوز صلاتهم إذانهم: العبد الآبق حتى يرجع، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون).

وأزعم أن سخط الزوج ينبغي أن يكون لسبب وجيه، لا لهواه، ولا لأنه طلب منها معصية فامتنعت، ولا لسوء خلقه هو، وسرعة غضبه من أي شيء، ولأي سبب، وإلا فإن كثيرًا من الرجال يسيء لزوجته، ثم يهددها بأنه غير راضٍ عنها، وأن الملائكة تلعنها، وقد سمعت هذا من سيدات أزواجهن لا يصلون، ولا يعرفون الله، ولا يذكرون من الدين إلا هذه، بينما يتجاهلون حق المرأة، ويزدرونها ويسيئون معاملتها، فهل تبيت هذه في سخط الله تبارك وتعالى أيضًا؟

قال الشيخ عبد الرحمن السحيم في معنى(وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط):

ولا يعني هذا أن تُسخط المرأة زوجها، فإنها إذا أسخطته باتت في غضب الله؛ خاصة ما يتعلق بأمر الفراش، فإن بعض النساء إذا قصّر زوجها في حقها قصّرت في حقه، والواجب عليها أن تؤدي ما عليها، وتسأل الله الذي لها. قال صلى الله عليه وسلم:(والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو أمرأته إلى فراشها فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها، حتى يرضى عنها. رواه مسلم. وقال:(إذا دعا الرجل أمرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح). متفق عليه.

هذا الذي يوجب سخط الله وغضبه، ولعنة الملائكة، أما أن يُدّعى أن الله يسخط لسخط الزوج كلما غضب، ولو لأتفه الأسباب، فهذا أمر بعيد. وقد وقعت المغاضبة بين

علي وفاطمة رضي الله عنهما. وإذا قال لك هذا الحديث(ثلاثة..) فقولي له: إني سألت عن هذا الحديث، فقيل لي: إنه حديث ضعيف، وممن ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله. ولو صح الحديث فليس فيه إلا الوعيد على من(باتت) أي أمضت ليلتها وزوجها ساخط عليها، وهذا يُحمل على أمر الفراش كما تقدم. وقد قال عمر رضي الله عنه لابنته حفصة رضي الله عنها: أي حفصة: أتغاضب إحداكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل؟ فقالت: نعم. الحديث. رواه البخاري ومسلم. وهذا مما يجري بين الأزواج، ومع ذلك لم يقل لهنّ النبي صلى الله عليه وسلم إن صلاتكن لا تُقبل.

وأما عن قوله صلى الله عليه وسلم:(وإمام قوم وهم له كارهون) فما المراد بالإمام؟

قال في نيل الأوطار: باب صفة الإمامة: وأحاديث الباب يقوي بعضها بعضًا، فينتهض للاستدلال بها على تحريم أن يكون الرجل إمامًا لقوم يكرهونه. ويدل على التحريم: نفي قبول الصلاة، وأنها لا تجاوز إذان المصلين، ولعن الفاعل لذلك. وقد ذهب إلى التحريم قوم، وإلى الكراهة آخرون.

وقد روى العراقي ذلك عن علي بن أبي طالب والأسود بن هلال وعبد الله بن الحارث البصري، وقد قيد ذلك جماعة من أهل العلم بالكراهة الدينية لسبب شرعي، فأما الكراهة لغير الدين فلا عبرة بها، وقيدوه أيضًا بأن يكون الكارهون أكثر المأمومين، ولا اعتبار بكراهة الواحد والاثنين والثلاثة؛ إذا كان المؤتمون جمعًا كثيرًا؛ لا إذا كانوا اثنين أو ثلاثة، فإن كراهتهم أو كراهة أكثرهم معتبرة.

وحمل الشافعي الحديث على إمام غير الوالي؛ لأن الغالب كراهة ولاة الأمر. وظاهر الحديث: عدم الفرق والاعتبار بكراهة أهل الدين دون غيرهم؛ حتى قال الغزالي في الإحياء: لو كان الأقل من أهل الدين يكرهونه فالنظر إليهم.

قال الإمام النووي في المجموع:

وإنما تكره إمامته إذا كرهوه لمعنى مذموم شرعًا؛ كوالٍ ظالم، وكمن تغلّب على إمامة الصلاة ولا يستحقها، أو لا يتصوّن من النجاسات، أو يمحق هيئات الصلاة، أو يتعاطى

معيشة مذمومة، أو يعاشر أهل الفسوق ونحوهم، أو شبه ذلك، فإن لم يكن شيء من ذلك فلا كراهة؛ هكذا صرح به الخطابي، والقاضي حسين، والبغوي، وغيرهم.ا.هـ .

وقال شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى:

إن كانوا يكرهون هذا الإمام لأمر في دينه مثل كذبه، أو ظلمه، أو جهله، أو بدعته ونحو ذلك، ويحبون الآخر لأنه أصلح في دينه منه مثل أن يكون أصدق، وأعلم، وأدين؛ فإنه يجب أن يولى عليهم هذا الإمام الذي يحبونه، وليس لذلك الإمام الذي يكرهونه أن يؤمهم كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ثلاثة لا تجاوز صلاتهم إذانهم: رجل أم قومًا وهم له كارهون، ورجل لا يأتي الصلاة إلا دبارًا، ورجل اعتبد محررًا.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في الشرح الممتع(354/4 :(وأفادنا قوله: "بحق" أنهم لو كرهوه بغير حق، مثل: لو كرهوه لأنه يحرص على اتباع السنة في الصلاة فيقرأ بهم السور المستحبة المسنونة، ويصلي بهم صلاة متأنية، فإن إمامته فيهم لا تكره، لأنهم كرهوه بغير حق فلا عبرة بكراهتهم! وينبغي له إذا كانوا يكرهونه بغير حق أن يعظهم، ويذكرهم، ويتألفهم، ويصلي بهم حسب ما جاء في السنة، وإذا علم الله من نيته صدق نية التأليف بينهم يسر الله له ذلك.ا.هـ .

وقد وردت في أحاديث ثلاثية أخرى زيادات، منها:

- حديث سيدي أنس رضي الله تعالى عنه في السلسلة الصحيحة، مرفوعًا:(ثلاثةٌ لا يقبل منهم صلاةٌ، ولا تصعدُ إلى السماءِ، ولا تجاوز رؤوسهم: رجل أم قومًا وهم له كارهون، ورجل صلى على جنازةٍ ولم يؤمر، وامرأة دعاها زوجها من الليلِ فأبت عليه)!

والزيادة فيها هو: (ورجل صلى على جنازةٍ ولم يؤمر) ربما لأن أهل الميت في كرب، وبكاء، ولا يحتملون أن يصلي على ميتهم من لا يرضونه، وهم ربما توسموا في صالح أن يصلي على ميتهم فدخل هذا، مسيئًا غير مشكور، والله أعلى وأعلم.

- **ومنها ما ورد في الترغيب والترهيب عن سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، مرفوعًا:(ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرًا: رجل أم قومًا وهم له كارهون، وامرأة باتَت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان) والزيادة هنا:(وأخوان متصارمان) اي متهاجران متقاطعان، لأنه(لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثٍ، يلتقيان: فيصدُّ هذا، ويصدُّ هذا، وخيرُهما الذي يبدأُ بالسلامِ)!**

فمغاضبة مسلم فوق ثلاثة غلو في الخصومة، ولدد لا يرضى الله تعالى به، ويرد عمل صاحبه!

قال النووي في شرحه على مسلم: قال العلماء: في هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال، وإباحتها في الثلاث الأول بنص الحديث، والثاني بمفهومه. قالوا: وإنما عفي عنها في الثلاث لأن الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك، فعفي عن الهجرة في الثلاثة ليذهب ذلك العارض.

وقيل: إن الحديث لا يقتضي إباحة الهجرة في الثلاثة، وهذا على مذهب من يقول: لا يحتج بالمفهوم ودليل الخطاب.

الذين لا يُقبل منهم صرف ولا عدل، ولا دعاء ولا رجاء:

ما معنى: الصرف والعدل؟

تكرر في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أشخاص لا يقبل الله منهم صرفًا ولا عدلًا، فما الصرف والعدل، وهل منها الدعاء، كما أرجّح؟

قال الإمام الشوكاني في تفسيره: فتح القدير، في تفسير قوله تعالى:(فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفًا ولا نصرًا) الفرقان:19.(باختصار مني):

قال الله تعالى – عند تبري المعبودين مخاطبًا للمشركين العابدين لغير الله سبحانه – (فقد كذبوكم) أي: فقد كذبكم المعبودون بما تقولون أي: في قولكم إنهم آلهة (فلا يستطيعون) أي: الآلهة(صرفًا) أي: دفعًا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه، وقيل: حيلة.

وقيل: المعنى: فما يستطيع هؤلاء الكفار – لما كذبهم المعبودون – صرفًا للعذاب الذي عذبهم الله به، ولا نصرًا من الله، وهذا الوجه مستقيم على قراءة من قرأ(تستطيعون) بالفوقية، وهي قراءة حفص، وقرأ الباقون بالتحتية.

وقال أبو عبيد: المعنى فما يستطيعون لكم صرفًا عن الحق الذي هداكم الله إليه، ولا نصرًا لأنفسهم، بما ينزل بهم من العذاب، بتكذيبهم إياكم.

وقال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى:(واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا، ولا يقبل منها شفاعة، ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) البقرة:48.

قال سيدي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما:(ولا يؤخذ منها عدل) قال: بدل، والبدل: الفدية. وقال السدي: أما عدل فيعدلها من العذاب، يقول: لو جاءت بملء الأرض ذهبًا تفتدي به ما تقبل منها، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم!

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه على مسلم/ باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها:

حدثنا عاصم قال: قلت لأنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة؟ قال: نعم؛ ما بين كذا إلى كذا، فمن أحدث فيها حدثًا فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا)!

قال المازري: اختلفوا في تفسيرهما، فقيل: الصرف: الفريضة، والعدل: النافلة..

وقال الحسن البصري: الصرف: النافلة، والعدل: الفريضة، عكس قول الجمهور!

وقال الأصمعي: الصرف: التوبة، والعدل: الفدية!

وقيل: يكون القبول هنا بمعنى تكفير الذنب بهما، قال: وقد يكون معنى الفدية هنا: أنه لا يجد في القيامة فداء يفتدي به بخلاف غيره من المذنبين الذين يتفضل الله عز وجل على من يشاء منهم بأن يفديه من النار بيهودي أو نصراني، كما ثبت في الصحيح.

ويتضح أن أكثر ما ورد تفسير الصرف والعدل، فبمعنى النافلة والفريضة، ولا شك أن الدعاء داخل في المعنيين ضرورة، فهو عبادة، والعبادة إما فريضة، وإما نافلة، فإذا كانت الصلاة لا تقبل، وإذا كان الصيام لا يرتفع، فالدعاء كذلك والله أعلى وأعلم؛ إلا بعد توبة صادقة، وانخلاع من الذنب، وانكسار نفس يعلم الله تعالى منه صدق نية العبد، فيتوب سبحانه وتعالى عليه. فما هي الذنوب التي لا يقبل الله تعالى بها من العبد صرفًا ولا عدلًا؟

العقوق والمن والتكذيب بالقدر موانع من الإجابة!

هذه ثلاثة موانع أشار إليها سيدي النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح الترغيب وغيره عن سيدي أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ثلاثة لا يقبل الله عز وجل منهم صرفًا ولا عدلًا: عاق، ومنان، ومكذب بقدر).

وورد الحديث نفسه في كتاب البر والصلة للمروزي في باب عقوق الوالدين عن سيدي أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه مرفوعًا:(أربعة لا يقبل الله عز وجل منهم صرفًا ولا عدلًا: عاق، ومنان، ومدمن الخمر، ومكذب بقدر).

فأما العاق فهو الذين يسيء لأبويه أحدهما أو كليهما، بقول أو فعل أو إشارة أو تمعر وجه أو حتى بتأفف، ويشتد الأمر لو حرمهما – في حاجتهما – أو سبهما، أو ضربهما!

وأما المنان فهو المتفاخر بالعطية على المعطى، والمعدد ما منحه، يقول له: أعطيتك وأعطيتك، وفعلت لك وفعلت!

والمن بهذا المعنى مذموم قبيح، مبطل لثواب العمل محبط له، ومن ذلك دعاء المنان لو دعا، فإن ربه تبارك وتعالى يرد عليه دعاءه، قال في الدرر السنية:

القسم الثاني(من معنيي المن): وهو أن يمن الإنسان بالعطية، أي: يذكرها ويكررها، فهو المذموم. ومنه قوله تعالى:(لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) البقرة:264، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفِّق سلعته بالحلف الكاذب) والمنان: الذي لا يعطي شيئًا إلا منَّه، كذا جاء مفسرًا في كتاب مسلم، والمنان أيضًا: الذي يمن جل وعز على الله بعمله، وهذا كله في حق المخلوق حرام مذموم، وهو الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم:(لا يدخل الجنة منان) صحيح الجامع وغيره.

وأما المدمن فمعروف مشتهر، والإدمان من بلاءات عصرنا المستبيح للخمر، الذي جعلها آية تحضر واستنارة، وتفننَ في أشكالها: ما بين سائلة وجامدة، ومستنشقة ومستعطة، ومحقونة وممضوغة، وفق المعنى الشرعي الذي يجعل الخمر كل ما خأمر العقل، أو خمره(غطاه) نعوذ بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء وسوء القضاء، وشماتة الأعداء!

وهؤلاء النفر الثلاثة مردودو الدعاء، لا يقبل منهم صرف ولا عدل بنص الحديث الشريف، اللهم إلا إذا تابوا التوبة النصوح، وأقلعوا عما هم فيه، وعلم الله في قلوبهم خيرًا، فإنه سبحانه لا يرد عبده التائب خائبًا حسيرًا، والله تعالى أعلى وأعلم وأرحم.

ورقة بعشرة بلايين(بالباء) لا تشتري شيئًا!

التنصل من الأب، والانتساب لغيره من الموانع:

التنكر للأب، وعقوقه لدرجة التبرئ من اسمه، والأنتساب لغيره، من الأمور العظيمة التي يرد بها دعاء الداعي؛ مهما ألح وجأر، وداوم على الدعاء واستمر..

ففي مجموع فتاوى شيخ الإسلام رحمه الله بسند صحيح مرفوعًا:(من ادعى إلى غيرِ أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرفًا ولا عدلًا).

وفي البخاري عن سيدي سعد رضي الله تعالى عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:(من ادعى إلى غير أبيه – وهو يعلم أنه غير أبيه – فالجنة عليه حرام)!

وفي البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قا:(لا ترغبوا عن آبائكم؛ فمن رغب عن أبيه فهو كفر).

قال في فتح الباري: المراد به من تحول عن نسبته لأبيه إلى غير أبيه؛ عالمًا عامدًا مختارًا، وكانوا في الجاهلية لا يستنكرون أن يتبنى الرجل ولد غيره، ويصير الولد ينسب إلى الذي تبناه، حتى نزل قوله تعالى: (ادعوهم لآبائهم، هو أقسط عند الله) وقوله سبحانه وتعالى: (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) فنسب كل واحد إلى أبيه الحقيقي، وترك الأنتساب إلى من تبناه، لكن بقي بعضهم مشهورًا بمن تبناه، فيذكر به لقصد التعريف لا لقصد النسب الحقيقي، كالمقداد بن الأسود رضي الله تعالى عنه، وليس الأسود أباه، وإنما كان تبناه، واسم أبيه الحقيقي عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهراني، وكان أبوه حليف كندة فقيل له: الكندي، ثم حالف هو الأسود بن عبد يغوث الزهري فتبنى المقداد.

قال: وليس المراد بالكفر حقيقة الكفر، التي يخلد صاحبها في النار.

وقال بعض الشراح: سبب إطلاق الكفر هنا أنه كذب على الله، كانه يقول خلقني الله من ماء فلان، وليس كذلك؛ لأنه إنما خلقه من غيره، والله تعالى أعلى وأعلم..

المبتدع في المدينة المنورة أو من يحمي المبتدعة:

لا بد أن يبقى الحرمان الشريفان طاهرين مطهرين آمنين، لا مجال فيهما لبدعة، ولا حدثٍ ليس من هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه، لأنهما مهبط الإسلام، ومربعا الوحي، ومنشأ الصحابة، ومنطلق الإسلام، وقد شدد الحبيب صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى، وغلّظ عقوبة من يلوث نقاء الحرمين ببدعة أو انحراف:

ففي البخاري عن علي رضي الله عنه مرفوعًا:(ما عندنا إلا كتاب الله وهذه الصحيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم:(أن المدينة حرام ما بين عير إلى ثور، من أحدث فيها حدثًا، آوى محدثًا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل.

وقال: ذمة المسلمين واحدة، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منهُ صرف ولا عدل..

ومن تولى قومًا بغير إذن مواليهِ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل)!

فهنا ثلاث خصال لا يقبل من صاحبها صرف ولا عدل/ نافلة أو فريضة/ توبة أو فدية/ صلاة أو دعاء:

1. الابتداع والإحداث في المدينة..
2. إخفار ذمة المسلم..
3. وتولي قوم لا يجوز له أن يتولاهم.

قالوا للحسن البصري: ما الحدث؟ قال: أصحاب الفتن كلهم محدثون.

فلا يجوز أن يظهر الروافض والخوارج ومنكرو السنة وعبدة القبور ومن شابههم شعائرهم فيها، ولا أن يدنسوا نقاء المدينة وطهرها..

ومن أعانهم على ذلك، وثبتهم، وشجعهم، ورضي بهم فهو مثلهم ولا كرامة: عليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا!

الذي يستخدم معسول الكلام لصرف وجوه الناس إليه:

العالم والشاعر والفصيح والخطيب الذي يستخدم بلاغته في استمالة الناس لمماراة العلماء، أو استمالة السفهاء، أو لمصلحة نفسه، ووجاهته في الخلق، أو لتمرير باطل، أو إضعاف حق أو إبطاله، ممن ترد دعواتهم، ولا يقبلها الله رب العالمين، وهو أعلى وأعلم:

فقد روى أبو داود وغيره بسند فيه ضعف – وحسنه بعضهم – عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، يرفعه:(من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال أو الناس، لم يقبل اللَّه منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا)..

وجاءت نصوص كثيرة تقبح ذلك وترفض هذا الخلق، ففي صحيح ابن ماجه وغيره عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا:(من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة)..

وفي صحيح الترغيب عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا:(من طلب العلم، ليباهي به العلماء، ويمارِي به السفهاء، أو ليصرف وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم)

قال في عون المعبود في شرح سنن أبي داود:

قال الخطابي: صرف الكلام فضله وما يتكلفه الإنسان من الزيادة فيه وراء الحاجة، ومن هذا سمي الفضل من النقدين صرفًا، وإنما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لما يدخله من الرياء والتصنع، ولما يخالطه من الكذب والتزيد، وأمر أن يكون الكلام قصدًا ببلوغ الحاجة، غير زائد عليها، يوافق ظاهره باطنه، وسره علانيته!

(ليسبي): أي ليسلب ويستميل(به): أي بصرف الكلام(صرفًا ولا عدلا): في النهاية: الصرف التوبة أو النافلة، والعدل الفدية أو الفريضة!

وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية والمنح المرعية عن كراهة التشدق في الكلام:

وصرف الحديث ما يتكلفه الإنسان من الزيادة فيه على قدر الحاجة، وإنما كره لما يدخله من الرياء والتصنع، ولما يخالطه من الكذب والتزيد. يقال: فلان لا يحسن صرف

الكلام أي فضل بعضه على بعض، وهو من صرف الدراهم وتفاضلها، ذكره في النهاية. والصرف: التوبة، وقيل: النافلة، والعدل: الفدية، وقيل: الفريضة. وتكررت هاتان اللفظتان في الحديث.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إن الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقر بلسانها) إسناده جيد، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه. قال في النهاية: هو الذي يتشدق في الكلام، ويفخم به لسانه، ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفًّا!

وروى الترمذي..... عن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون)..

قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين؛ فما المتفيهقون؟ قال:(المتكبرون)!

المسلم الذي يفرح لأنه قتل مسلمًا، مردود دعاؤه:

ففي صحيح سنن أبي داود عن سيدي أبي الدراداء وعبادة بن الصامت، مرفوعًا:(كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا من مات مشركًا، أو مؤمن قتل مؤمنًا متعمدًا) وعن سيدي عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا:(من قتل مؤمنًا فاغتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا) وعن سيدي أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا:(لا يزال المؤمن معنقًا صالحًا ما لم يصب دمًا حرامًا، فإذا أصاب دمًا حرامًا بلح)!

قال الطبراني في مسند الشاميين:..... سألت يحيى بن يحيى الغساني عن قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:(ثم اغتبط بقتله) قال: هم الذين يقتلون في الفتنة، فيقتل أحدهم، فيرى أنه على هدى، ولا يستغفر الله منه أبدًا!

وقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم في دم المسلم، وحرمته، والتغليظ في الاجتراء عليه، قال المنذري رحمه الله في كتابه الترغيب والترهيب/ الترهيب من قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق:

فعن سيدي ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا:(أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.

وللنسائي أيضًا بسند صحيح لغيره مرفوعًا:(أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس في الدماء)!

وفي مسلم وغيره عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم)!

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حرامًا)..

وقال ابن عمر رضي الله عنهما:(إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سفك الدم الحرام بغير حله) رواه البخاري وغيره.

وعن سيدي معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا) رواه النسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

ومن حديث سيدي ابن مسعود رضي الله عنه، عن سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم:(يجيء المقتول آخذًا قاتله وأوداجه تشخب دمًا عند ذي العزة فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟ فيقول: فيم قتلته؟ قال: قتلته لتكون العزة لفلان. قيل: هي لله!

وقد ابتلينا في القرون الأخيرة بحضارة دموية قاتلة، قتلت في القرن العشرين وحده – باسم الحضارة والاستنارة والحرية – ثلاثمائة مليون إنسان، وتستمتع بقتل المسلمين وإبادتهم وتدمير دولهم حول العالم! وكم من الملايين قتلت في أفغانستان والشيشان والبلقان وباكستان والعراق وسوريا وفلسطين وغيرها..

وقد سلطت هذه(الحدارة) وكلاءها الحكام العسكر على دماء المسلمين؛ حتى إننا رأينا بعد انقلاب 30 يونية على الرئيس مرسي قتلة يقفون لصيد الأرواح كانهم يصيدون الحمام، لا يتقون الله في مسلم، ولا يراعون طفلًا ولا امرأة ولا شيخًا، هذا غير ألوف جرحوا جراحات خطيرة – وفي بلد واحد – ناهيك عن ملايين من الجرحى والمشوهين والمبتورين في بلاد أخرى من بلاد المسلمين..

بل كان بعضهم يتخصص في قنص(العيون) رغم كونه شابًّا في عشرينياته؛ فكيف سيكون هذا وأمثاله إذا تدرجوا في وظائفهم، وتمكنوا وتجذروا، ألن يكون فرعون الذي ذبّح جيلا كاملًا من الأطفال أشد رحمة وآدمية من هذه الضباع البشرية مصاصة الدماء، القرمة للحم الإنساني؟

انتحار قاتل الساجدين في الحرس الجمهوري

مدمن الخمر المتردد عليها لا تقبل صلاته أربعين يومًا:

فقد أخرج أحمد والنسائي والترمذي وغيرهم عن سيدي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا:(من شرب الخمر فسكر لم تُقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن مات دخل النار، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد فشرب فسكر، لم تُقبل له صلاة أربعين صباحًا فإن مات دخل النار، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد فشرب فسكر لم تُقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن مات دخل النار، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة كان حقًّا على الله أن يسقيه من طينة الخَبال يوم القيامة) قالوا: يا رسول الله: ما طينة الخبال؟ قال:(عُصارة أهل النار)!

قال في حاشية السندي على ابن ماجه:(أربعين صباحًا) قال السيوطي في حاشية الترمذي: ذكر في حكمة ذلك أنها تبقى في عروقه وأعضائه أربعين يومًا، نقله ابن القيم. قوله:(من رَدغة الخبال) قال السيوطي: ويكون في الأفعال والأبدان والعقول، وقد جاء مفسرا في الحديث بعصارة أهل النار، وهي صديدهم.

وظاهره أنه لا تقبل توبته في هذه المرة، وقد جاء ذلك مصرحًا أيضًا، وهو مشكل؛ إلا أن يريد أنه لا يوفق للتوبة في هذه المرة كما في المرات الأول. أ.هـ.

ودائمًا نقول إنه لا ذنب أكبر من أن يغفره الله تعالى عدا الموت على الشرك والعياذ بالله رب العالمين، وقد ورد في صحيح سنن ابن ماجه:(التائب من الذنب كمن لا ذنب له) والله تعالى أعلى وأعلم. وفي القرآن الكريم ما هو أقوى في الدلالة؛ في قوله عز من قائل:(إلا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، وكان الله غفورًا رحيمًا) الفرقان:70.

تنويعات أدبية

عن الخيبة وحبوط الجهد:

تنويعات أدبية عن الخيبة وحبوط الجهد:

العبثية والعدمية.. الحبوط في الدنيا قبل الآخرة!

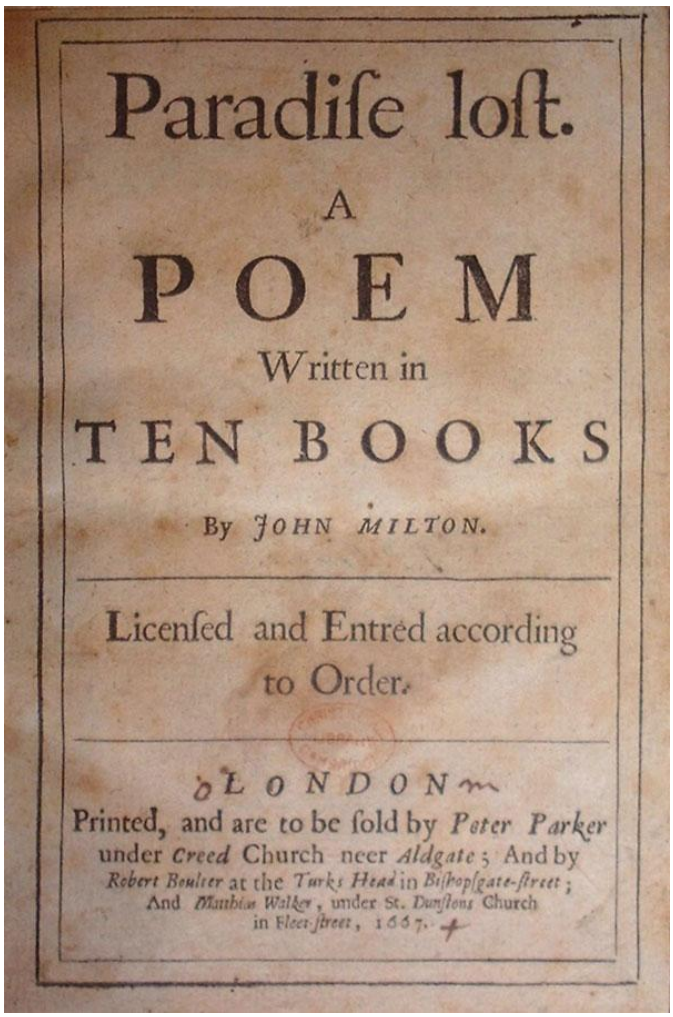
Paradiſe loſt.
A
POEM
Written in
TEN BOOKS
By JOHN MILTON.
Licenſed and Entred according to Order.
LONDON
Printed, and are to be ſold by Peter Parker under Creed Church neer Aldgate; And by Robert Boulter at the Turks Head in Biſhopſgate-ſtreet; And Matthias Walker, under St. Dunſtons Church in Fleet-ſtreet, 1667.

من المناهج البشرية التي تعكس الحبوط والإحباط وعدم الجدوى: فلسفة العبثية التي شاعت وتبلورت بعد ثلاثينيات القرن العشرين، لتقول للبشر إن وجودهم هباء، وفناءهم هباء، وإن أعمالهم هباء، وقعودهم هباء، واختياراتهم هباء، وعطالة تفكيرهم هباء، وإن وجود الإله – تعالى وعز وجل – كعدمه، والإيمان كالكفر، والعمل كالقعود.. كل شيء عبث وهباء.. نفس مقولة(الجامعة) في الإنجيل: الكل باطل وقبض الريح!

جاء في الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة(باختصار وترتيب):

العبثية futility مدرسة أدبية فكرية، تدعي أن الإنسان ضائع، لم يعد لسلوكه معنى في الحياة المعاصرة، ولم يعد لأفكاره مضمون، بل يجتر أفكاره لأنه فقد القدرة على رؤية الأشياء بحجمها الطبيعي؛ نتيجة للرغبة في سيطرة الآلة على الحياة لتكون في خدمة الإنسان، حيث انقلب الأمر فأصبح الإنسان في خدمة الآلة، وتحول الناس إلى تروس في هذه الآلة الاجتماعية الكبيرة!

وتتلخص فلسفة العبثيين في أن مجهودات الإنسان لإدراك معنى الكون دائمًا ما تنتهي بالفشل الحتمي(وهي لذلك عبثية) ذلك لأن هذا المعنى المنشود غير موجود أساسًا، على الأقل فيما يتعلق بالفرد!

وقد ارتبطت العبثية بالوجودية والعدمية Nihilism، وظهرت أول جذورها على يد الفيلسوف الدانماركي سورين كيركجارد في القرن التاسع عشر، كمذهب فكري منبثق عن الحركة الوجودية، عندما قام الفيلسوف والكاتب ألبير كامو بالانشقاق عن هذا الخط من الفكر الفلسفي ونشر كتابه الشهير أسطورة سيزيف.

ولقد هيأت الحرب العالمية الثانية في أعقابها المناخ الاجتماعي المناسب لولادة الآراء العبثية وانتشارها وتطورها، تحديدًا في فرنسا المنكوبة آنذاك ومنها انتشرت إلى كافة الأنحاء.

وقد قاد الفكرة العبثية: صامويل بيكيت ((1989– 1906 ويوجين يونسكو 1909 –1994.

وتتركز العدمية في أن العالم كله – بما في ذلك وجود الإنسان – عديم القيمة، وخال من أي مضمون أو معنى حقيقي. وينحصر الأديب العدمي – حسب هذا المذهب – في تذكير الإنسان بحدوده حتى يستغل حياته استغلالًا عدميًّا، لينضج فكر الإنسان نضجًا يرفعه من مرتبة الحيوان الذي لا يدرك معنى العدم إلى مرتبة الأديب المدرك له، والذي يلغي الفواصل المصطنعة بين العلم والفن، فالأديب العدمي هو الذي ينفذ من خلال الموت والبشاعة والعنف والقبح إلى معنى الحياة العدمية؛ فالعدم هو الوجه الآخر للوجود!

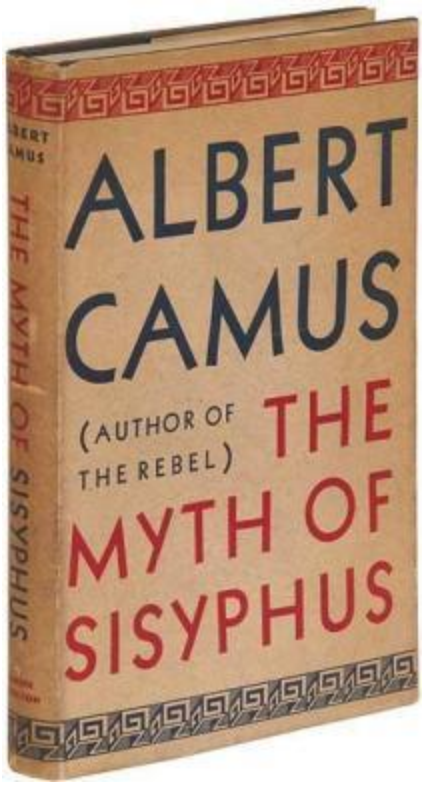

وترى العدمية ترى أن الوجود الإلهي وعدمه سواء، ولا يحسن أن يجهد الناس أنفسهم في هذا الموضوع. والمؤرخون يفرقون بين **الإلحاد** والعدمية من حيث أن الملحد يختار جانب الإلحاد الصريح – مثلما ذهب **سارتر** – أما العدمي فيرى أن المسألة سواء(يستوي الوجود الإلهي وعدمه!

وقد برزت العدمية في روايات الواقعية النقدية لجوستاف فلوبير 1880–1821م وأنوريه دي بلزاك 1850–1799 م وفي أعمال الطبيعة الانطباعية لإميل زولا 1902–1840 م في القرن التاسع عشر؛ إلا أن الأديب الفرنسي جوستاف فلوبير هو المعبر الأول عن العدمية في رواياته، ثم أصبحت مذهبًا لعدد كبير من الأدباء في القرن التاسع عشر .

وتتلخص الأفكار العدمية العبثية فيما يلي:

- إن الإنسان خلق وله إمكانات محدودة، وعليه لكي يثبت وجوده أن يتصرف في حدود هذه الإمكانات، بحيث لا يتحول إلى يائس متقاعس أو حالم مجنون.
- إن البشر يتصارعون، وهم يدركون جيدًا أن العدم في انتظارهم، وهذا الصراع فوق طاقتهم البشرية، لذلك يتحول صراعهم إلى عبث لا معنى له.
- الرومانسية المثالية في نظر الأديب العدمي مجرد هروب مؤقت، لا يلبث أن يصدم الإنسان بقسوة الواقع وبالعدم الذي ينتظره، وقد يكون في هذا الاصطدام انهياره أو انحرافه.

- **إن اتهام العدمية بالسلبية وإشاعة روح اليأس، يرجع إلى الخوف من لفظ العدم ذاته وهذه نظرة قاصرة، لأن تجاهل العدم لا يلغي وجوده من حياتنا.**
- **العدمية ليست مجرد إبراز الموت والبشاعة والعنف والقبح، ولكن الأديب العدمي هو الذي ينفذ من خلال ذلك إلى معنى الحياة، وبذلك يوضح بأن العدم هو الوجه الآخر للوجود، ولا يمكن الفصل بينهما، لأن معنى كل منهما يكمن في الآخر.**

- **ويذهبون إلى أن العدمية بدأت منذ بدء الوجود، لا من مسرحيات الإغريق..**
- **يرى العدمي أن الكون ما هو الا محاولة من العدم لأن يعي ذاته، فاستخدم النقيض!**

فنقيض العدم هو الوجود، وأفضل الطرق لمعرفة الشيء هي معرفة نقيضه؛ فكأن العدم قد أراد إدراك ذاته بإداركه لنقيضه.. وما وعينا إلا جزء من الوعي الكلي الشامل الذي يصب في النهاية في العدم محاولًا إداركه لذاته..

- **العدمية ليست هي الايمان بلا شيء..**
- **العدمية هي التشكك مصحوب بزيادة الوعي.. فهي إدراك عدم وجود غاية، ولا خير أو شر – فقط أسباب ومؤثرات – ولا مبادئ مقدسة أو محرمات!**

و تجزم العدمية أن الأخلاق والقيم مصطنعة، ذاتية، مطاطة، قابلة للاستبدال وزائلة/ وأن البديهيات لا تحتاج إيمانًا لأنها مستقلة، موضوعية ووجودها ذاتي ومستمر! بهذا تكون العدمية هي قمة الإلحاد... والإلحاد دون العدمية عبثية!

الأرض الخراب:

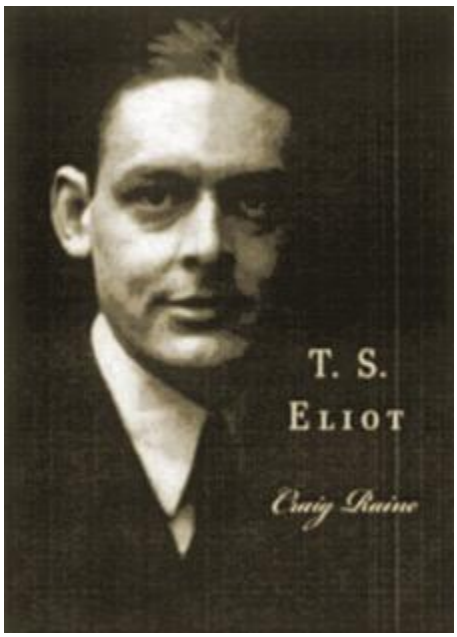

وربما عددت في هذا الإطار الذي يعكس أجواء الإحباط والهزيمة والعبثية القصيدة الشهيرة لإليوت التي تعد إنجيل الحداثيين:(الأرض الخراب/ اليباب/ أرض الضياع) **The Waste Land** لتوماس ستيرنز إليوت **Thomas Stearns Eliot** نشرت في **1922** لتعبر عن خيبة أمل جيل ما بعد الحرب العالمية الأولى وقرفه أو تقززه، وتصور عالمًا مثقلًا بالمخاوف والذعر والشهوات العقيمة، عالمًا ينتظر إشارة ما تؤذن بالخلاص أو تعدُ به.

وفي القصيدة – كما كتب ماجد جابر في منابر ثقافية، عن الأرض اليباب – إشارات حقيقية إلى شعائر المنصب، وتصوِّر أهوال الحرب العالمية الأولى، وتصور عالمًا مثقلًا بالمخاوف والذّعر والشهوات العقيمة. وتتكون من خمسة فصول طويلة هي دفن الموتى، ولعبة الشطرنج، وموعظة النار، والموت بالماء، وما قاله الرعد، وتمثل انهيار حلم ظن جيل كامل أنه باق. والقصيدة تعكس أجواء غياب اليقين والوهم والدمار والانحطاط الأخلاقي والانهيار النفسي الذي أصاب جيلاً كاملًا. فالحرب كانت نهاية مرحلة هامة من الفكر الاوروبي، التي تحطمت قيمته في شوارع مدن أوروبا المدمرة، ومن هنا نشأت الكثير من المدارس الفكرية والفلسفية والأدبية والفنية والشعرية،التي كانت خروجًا على تلك المرحلة. ونلمح في القصيدة توظيف السخرية والرؤيا والسحر، كما نلاحظ تغير صوت المتكلم لإعطاء حالة التنوع والتشظي التي أصابت فكر الإنسان المعاصر. كما نلاحظ توظيف الرموز والأساطير وأسماء شخصيات تاريخية، وانتقال مكان الحدث فجأة وزمانه تأكيدًا لمذهب اليوت النقدي في التراث والموهبة الفردية.

وهذه قطعة صغيرة من القصيدة من ترجمة محمد عبد الحي يوسف:

ما ذلك الصوت الذي يرتفع عاليا في الهواء و كأنه أنين أم تنوح؟!
من هؤلاء القوم الملثمون، المحتشدون فوق السهول اللا نهائية؟
متعثرين في الأرض المتصدعة، لا يحوطهم إلا الأفق المسطح
أي مدينة تلك التي وراء الجبال
تتصدع.. وتتشكل، وتنفجر في الهواء البنفسجي
تلك الأبراج المتداعية لأورشليم.. أثينا.. الإسكندرية.. فيينا.. لندن.. وهم
امرأة عقصت شعرها الأسود الطويل وشدته للخارج بإحكام
ثم عزفت موسيقى هامسة على هذه الأوتار
فأخذت الخفافيش ذات الوجوه الطفولية في الضوء البنفسجي
تصفر وتضرب بأجنحتها
ورؤوسها المتوحشة المقلوبة أسفل الحائط المسود
ترى الأبراج مقلوبة في الهواء
وهي تدق فيها أبراج الذكريات.. تلك التي تحتفظ بالساعات
بينما كانت الأصوات تغني منبعثة من الأحواض الخاوية والآبار المجهدة
وفي هذا الثقب البالي بين الجبال
وتحت ضوء القمر الباهت .. كانت الحشائش تغني
فوق القبور المنبوشة، بالقرب من الكنيسة
فهناك الكنيسة الخاوية.. هي فقط مأوى للريح
ليس لها نوافذ، والباب يتأرجح
العظام الجافة لا تؤذي أحدا
وحده كان الديك يقف على الشجرة العالية يصيح: كوكو ريكو.. كوكو ريكو
وفي ومضة برق .. تفجرت الرطوبة.. جالبةً المطر

أسطورة سيزيف

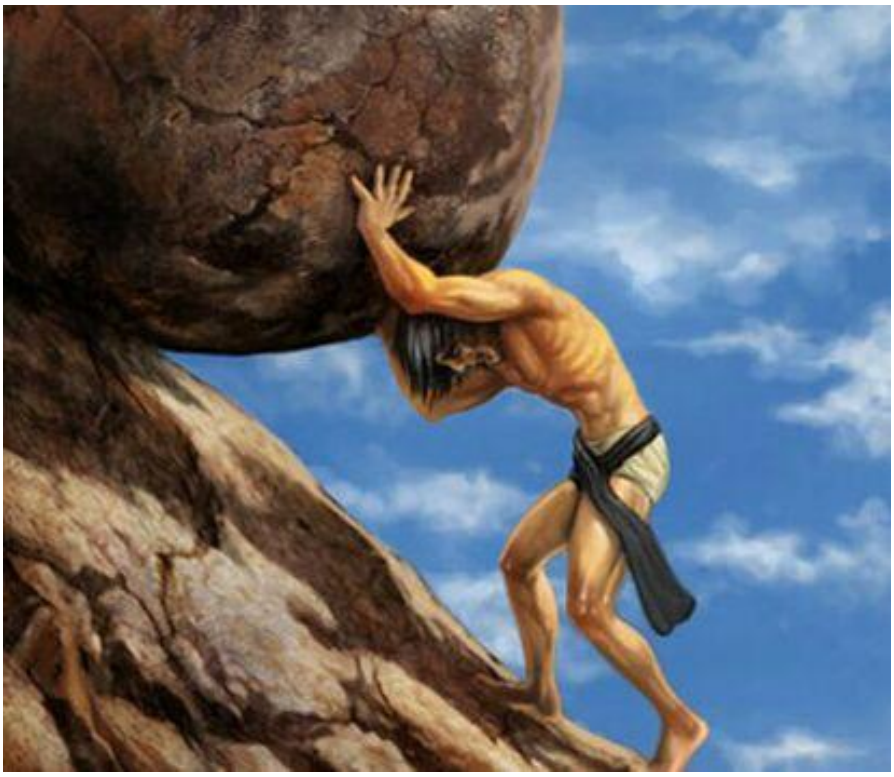

أسطورة سيزيف The Myth of Sisuphus واحدة من الأساطير الإغريقية التي تعكس فكر العبثية وحبوط العمل، وتبدد الجهد، الذي يظل الكائن البشري يؤديه ويرى بعينيه حبوطه، فيعاود إتياه، ويعود، ويعاود إلى ما لا نهاية

سيزيف أو سيسيفوس كان أحد أكثر الشخصيات مكرًا في الميثولوجيا الإغريقية الوثنية التي تتعدد فيها الآلهة، وتختلف أدوارها وقدراتها، فقد استطاع أن يخدع إله الموت ثاناتوس؛ ما أغضب كبير الإلهة زيوس، فعاقبه بأن يحمل – للأبد – صخرة من أسفل الجبل إلى أعلاه، فإذا وصل القمة تدحرجت إلى الوادي، فيعود إلى رفعها إلى القمة، ويظل هكذا لما لا نهاية، فأصبح رمز العذاب الأبدي.

اشتغل سيزيف بالتجارة والإبحار، لكنه كان مخادعًا وجشعًا، وخرق قوانين وأعراف الضيافة بأن قتل المسافرين والضيوف(النزلاء) وقد صوره هوميروس ومن تلاه من الكتاب واشتهر لديهم بانه أمكر وأخبث البشر على وجه الارض قاطبة واكثرهم لؤمًا؛ حتى إنه

أغوى ابنة أخيه، واغتصب عرش أخيه، وأفشى أسرار زيوس خصوصًا اغتصابه لإيجينا، ابنة إله النهر أسوبوس، أخته الشقيقة أو نصف الشقيقة..

وقد أمر زيوس هادس أن يسلسل سيزيف في الجحيم، وطلب سيزيف بمكر من ثانتوس أن يجرب الأصفاد والسلاسل ليختبر مدى كفاءتها، وعندما فعل ثانتوس ذلك أحكم عليه سيزيف الأصفاد وتوعد هادس! ليحدث ذلك تمردًا وانقلابًا وثورة وهياجًا، ولم يعد أحد من البشر يموت، حتى انزعج إريس لأنه فقد المتعة من معاركه التي لا يموت فيها خصومه؛ لذلك تدخل وأطلق سراح ثانتوس وأرسل سيزيف إلى الجحيم!

وقبل موت سيزيف، أخبر زوجته أنه عندما يموت فعليها أن تمتنع عن تقديم أضحيتها المعتادة.

وفى العالم السفلي، شكا من أن زوجته تهجره وتهمله وتتجاهله، وأقنع برسيفوني، ملكة العالم السفلي، بالسماح له بالصعود للعالم العلوي لطلب من زوجته أن تؤدي واجبها وتقدم أضحيتها. وعندما عاد سيزيف إلى كورينثة، رفض أن يرجع للعالم السفلي فحمله هادس عنوة!

وكعقاب من الآلهة على خداعه، أرغم سيزيف على دحرجة صخرة ضخمة على تل منحدر، ولكن قبل أن يبلغ قمة التل، تفلت الصخرة دائمًا منه، متدحرجة لأسفل، ليبدأ رفعها من جديد لمالا نهاية؛ جزاء لاعتقاده المتعجرف كبشر بأن ذكاءه يمكن أن يغلب ويفوق ذكاء زيوس ومكره! كما أنه اجترأ وأبلغ عن فضائح ونزوات زيوس الغرامية، وأخبر إله النهر أسوبوس بما يتعلق من ظروف وملابسات بابنته إيجينا التي أخذها زيوس بعيدًا، وولأن سيزيف اعتبر نفسه ندًّا للآلهة حتى يبلغ عن حماقاتهم وطيشهم ونزقهم.

ونتيجة لذلك، استخدم زيوس ذكاءه وقوته بأن ربط سيزيف بعقوبة وحيرة أبدية.

وطبقًا لذلك توصف الأنشطة عديمة الهدف أو اللامتناهية بأنها سيزيفية.

سيزيفيات في بعض روايات المعراج:

وقد ورد في أحاديث مختلفة في رحلة المعراج عن صور من العقوبات الأخروية، الشبيهة بحال سيزيف، الذي يبذل جهدًا مضنيًا ثم لا يجني إلا العناء، فيعود للبذل من جديد، ولما لا نهاية، وعن أقوام آخرين – عكس أولئكم – يضاعف لهم العمل أسرع من المعروف في الدنيا:

ففي رواية للطبراني والبزار عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ ولست أكيدًا من صحتها: أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على قوم يزرعون ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان! فقال لجبريل عليه السلام صلى الله عليه وسلم: ما هذا؟

قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه، وهو خير الرازقين!

ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر، كلما رضخت عادت كما كانت، ولا يفتَّر عنهم من ذلك شيء!

فقال صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا جبريل؟

قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة.

ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الأنعام، يأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم، فقال: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم، وما ظلمهم الله وما ربك بظلام للعبيد!

ثم أتى صلى الله عليه وسلم على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ولحم نيء، في قدر خبيث، فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث، ويدعون النضيج، فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال جبريل: هذا الرجل من أمتك، تكون عنده المرأة الحلال الطيب، فيأتي امرأة

خبيثة، فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالًا طيبًا، فتاتي رجلًا خبيثًا، فتبيت عنده حتى تصبح!

ثم أتى صلى الله عليه وسلم على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة، لا يستطيع حملها، وهو يزيد عليها، فقال: ما هذا يا جبريل؟

قال صلى الله عليه وسلم: هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها، وهو يريد أن يحمل عليها!

ثم أتى صلى الله عليه وسلم على قوم تقرض ألسنتهم وشفاهم بمقاريض من حديد، كلما قرضت عادت كما كانت، لا يفتّر عنهم من ذلك شيء، قال صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة! إلخ!

CHURCH OF SELF
TODAY'S SERMON:
HOW TO HAVE IT ALL
AND FEEL KIND OF EMPTY
AT THE SAME TIME

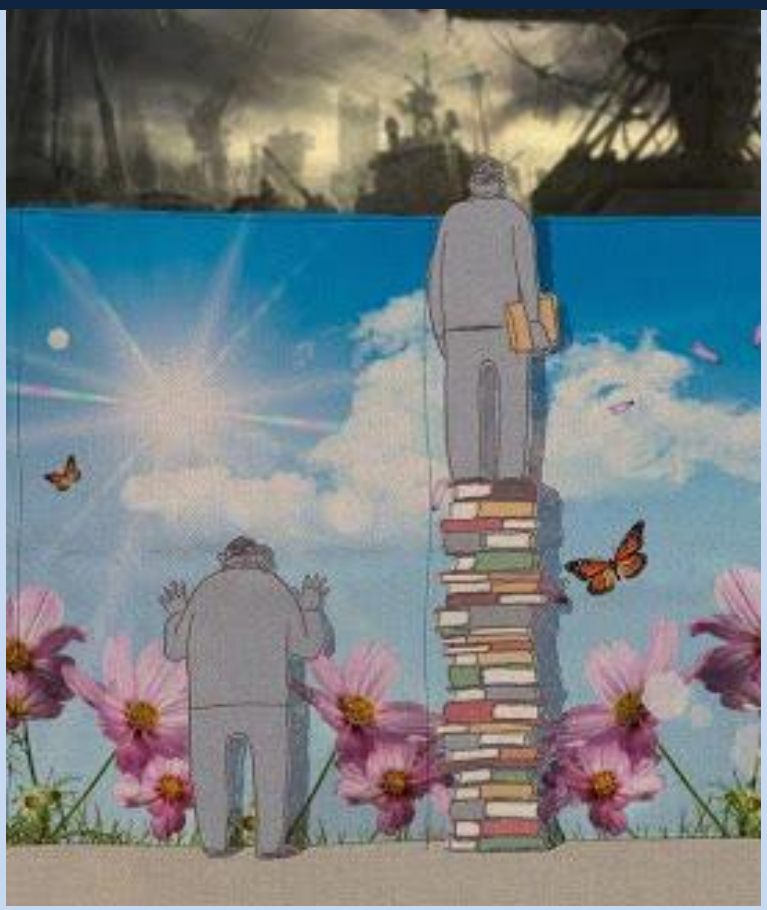

تراثيات عن حبوط العمل

تراثيات عن حبوط العمل

في هذه الصفحات تنويعات من النصوص الشرعية والأدبية عن حبوط العمل:

أول الناس معاقبة في الآخرة بعد حبوط عملهم:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن سيدي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن سيدي المصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال:(فما عملت فيها)؟

قال: قاتلت فيك حتى استشهدت،

قال: الله تعالى:(كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل)! ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار!

ورجل تعلم العلم، وعلمه، وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟

قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن!

قال الله تبارك وتعالى:(كذبت؛ ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل)، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار!

ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟

قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك!

قال:(كذبت؛ ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل)! ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار)!

كالحمار في الرحى:

أخرج البخاري ومسلم عن سيدي أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون:

يا فلان: مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟

فيقول: بلى؛ كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه)!

وفي رواية لمسلم قال: قيل لأسامة: لو أتيت عثمان فكلمته!

فقال رضي الله عنه: إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أن أسمعكم، وإني أكلمه في السر دون أن أفتح بابًا لا أكون أول من فتحه، ولا أقول لرجل إن كان علي أميرًا أنه خير الناس؛ بعد شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم!

قيل: وما هو؟

قال رضي الله عنه: سمعته صلى الله عليه وسلم يقول:(يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار فتندلق أقتابه، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون:

يا فلان: ما شأنك؟ أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟ فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن الشر وآتيه، وإني سمعته يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول:(ليلة أسري بي مررت بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون)!

حكاية مدعم:

وفي البخاري عن سيدي أبي هريرة رضي الله عنه، قال: افتتحنا خيبر، ولم نغنم ذهبًا ولا فضة؛ إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط، ثم انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى، ومعه عبد له يقال له مدعم، أهداه له أحد بني الضباب.

فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد! فقال الناس: هنيئًا له الشهادة!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(بل والذي نفسي بيده: إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم – لم تصبها المقاسم – لتشتعل عليه نارًا)!

فجاء رجل حين سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم بشراك أو بشراكين، فقال: هذا شيء كنت أصبته،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: شراك، أو شراكان من نار!

خفا حنين:

يسير في الناس قول القدماء: رجع بخفي حنين، كناية عن ضياع الجهد، والخيبة، وفوات الأثر..

جاء في المحاسن والمساوي للبيهقي:

كان حنين إسكافًا من الحيرة، فساومه أعرابي بخفيه، واختلفا في ذلك حتى أغضبه، فأراد أن يغيظ الأعرابي، فلما ارتحل أخذ حنين الخفين، فألقى أحدهما على الطريق، وألقى الآخر في موضع آخر من طريقه، فلما مر الأعرابي رأى أحدهما فقال: ما أشبه هذا بخفّ حنين، ولو كان معه أخوه نزلت فأخذته، ومضى!

فلما انتهى إلى الآخر ندم على ترك الأول، وأناخ راحلته فأخذه ورجع إلى الأول.

وكان حنين قد كمن له، فعمد إلى راحلته فذهب بها وما عليها، وأقبل الأعرابي وليس معه إلا الخفان، فقال له قومه: ما الذي أتيت به؟ قال:

أتيت بخفّي حنين، فضربته العرب مثلًا. وقال الشاعر في مثله:

لتقرعنّ عليّ السنّ من ندمٍ ... إذا تذكرت يومًا بعض أخلاقي

وفي مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري جاء:

أَخيب من حُنينٍ: قد اختلف النسابون فيه وقد ذكرت قول أبي عبيد وابن السكيت فيه في حرف الراء عند قولهم " رجع بخفي حُنين " وأما الشرقي بن القطامي فإنه قال:

كان حُنَين من قريش، وزعم أن أصل المثل أن هاشم ابن عبد مناف كان رجلا كثيرَ التقلب في أحياء العرب، للتجارات والوِفادات على الملوك، وكان نُكحة!

فكان أوصى أهله أنه متى أتوا بمولود معه علامته قَبِلوه، وتصير علامة قبولهم إياه أن يَكسوه ثيابًا ويلبسوه خُفًّا!

ثم إن هاشما تزوج في حي من أحياء اليمن، وارتحل عنهم، فولد له غلام فسماه جدُّه أبو أمه حنينًا، وحمله إلى قريش مع رجل من أهله، فسأل عن رهط هاشم، فدُلَّ عليهم، فأتاهم بالغلام، وقال: إن هذا ابنُ هاشم، فطالبوه بالعلامة، فلم تكن معه، فلم يقبلوه، فرد الغلام إلى أهله، فحين رأَوه قالوا: جاء بخفّ حنينٍ، أي جاء خائبا حين جاء في خف نفسه أي لو قُبل لألبس خف أبيه!

وقال غيره: كان حنينا رجلًا عباديًّا من أهل دومة الكوفة، وهي النجف محلة منها، وهو الذي يقول:

أنَا حنينٌ وداري النجفُ
وما نَدِيمي إلا الفتى القصف
ليس نَديمي المنجل الصلف

وكان من قصته أن دَعَاه قومٌ من أهل الكوفة إلى الصحراء ليغنيهم، فمضى معهم، فلما سكر سلبوه ثيابه وتركوه عريانا في خفيه!

فلما رجع إلى أهله وأبصروه بتلك الحالة قالوا: جاء حنين بخفيه!

ثم قالوا: أخيب من حنين، فصار مثلا لكل خائب وخاسر!

ثم قالوا: أصحب لليأس من خفي حنين، فصار مثلا لكل يائس وقانط ومكدٍ!

أبو العلاء المعري

شاعر الخيبات والإحباطات

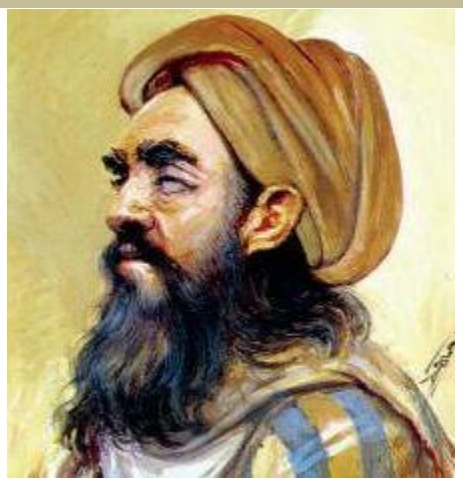

وقد نجد في بعد القصائد العربية نوعًا من العدمية والقنوط وغلبة الخيبة، والإحساس بالعبثية، في أثناء القصيدة كما جاء في(القصيدة القبر) للشاعر العباسي الشهير أبي العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري(363 هـ – 449 هـ)،(973 –1057م) وهي إحدى أشهر ما كتب، ويعكس فيها فلسفته المحبطة، الملأى بالإحساس بالقنوط.. يقول فيها:

غيرُ مجدٍ في ملّتي واعتقادي	نوح باكٍ.. ولا ترنم شاد
وشبيهٌ صوت النعيّ إذا قِيـ	ـس بصوت البشير في كل ناد
أبَكَت تلكم الحمامة أم غنّـ	ـت على فرع غصنها الميّاد
صاح هذي قبورنا تملأ الرُحـ	ـبَ فأين القبور من عهد عاد؟
خفف الوطء ما أظن أديم	الأرض إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا.. وإن قـدُم العهد	هوان الآباء والأجداد
سر إن اسطعت في الهواء رويدًا	لا اختيالًا على رفات العباد
رُب لحدٍ قد صار لحدًا مرارًا	ضاحكٍ من تزاحم الأضداد
ودفينٍ على بقايا دفين	في طويل الأزمان والآباد
فاسأل الفرقدين عمّن أحسّا	من قبيلٍ وآنسا من بلاد
كم أقاما على زوال نهار	وأنارا لمدلج في سواد

تعبٌ كلها الحياة فما أعـ	ـجب إلا من راغبٍ في ازدياد
إنّ حزنًا في ساعة الموت أضـ	ـعاف سرورٍ في ساعة الميلاد
خُلق الناس للبقاء فضلّت	أمة يحسبونهم للنفاد
إنما ينقلون من دار أعمالٍ	إلى دار شِقوة أو رشاد
ضجعة الموت رقدة يستريح الجسـ	ـم فيها والعيش مثل السهاد
أبَنات الهديل أسعدن أو	عدن قليلَ العزاء بالإسعاد
إيـه لله درّكـن فأنتن الد	واتي تحسنّ حفظ الوداد
بيد أنّي لا أرتضي ما فعلتـ	ـنّ وأطواقكنّ في الأجياد
فتسلّبن واستعرن جميعًا	من قميص الدجى ثياب حداد
ثم غردن في المآتم واندبن	بشجوٍ مع الغواني الخراد
ودّعا أيها الحفيّان ذاك الشخـ	ـص إنّ الوداع أيسر زاد
واغسلاه بالدمع إن كان طهرًا	وادفناه بين الحشا والفؤاد
واحبواه الأكفان من ورق المصـ	ـحف كبرًا عن أنفس الأبراد
واتلوَا النعش بالقراءة والتسيـ	ـح.. لا بالنحيب والعداد
أسفٌ غيرُ نافع.. واجتهادٌ	لا يؤدّي إلى غَناء اجتهاد
طالما أخرج الحزين جوى الحز	ن إلى غير لائقٍ بالسداد
كيف أصبحت في محلّك بعدي	يا جديرًا مني بحسن افتقاد؟
قد أقرّ الطبيب عنك بعجز	وتقضّى تَرددُ العوّاد
وانتهى اليأس منك واستشعر الوجـ	ـد بأن لا معاد حتى المعاد
هجد الساهرون حولك للتمـ	ـريض ويحٌ لأعين الهجّاد
من أسرة مضوَا غير مغرو	رين من عيشة بذات ضماد
لا يغيّركم الصعيد وكونوا فيـ	ـه مثل السيوف في الأغماد

فعزيزٌ علي خلطُ الليالي	رِمّ أقدامكم بِرِمّ الهوادي
كنتَ خل الصبا فلما أراد البي	ـن وافقتَ رأيه في المراد
ورأيت الوفاء للصاحب الأو	ل من شيمة الكرام الجواد
وخلعت الشباب غضًّا فيا	ليتك أبليته مع الأنداد
فاذهبا خير ذاهبين حقيقي	ـنِ بسقيا روائح وغواد
ومَراثٍ لو أنهن دموعٌ	لمَحَون السطور في الإنشاد
زحلٌ أشرف الكواكب دارًا	من لقاء الردى على ميعاد
ولِنار المريخ من حَدَثَان الده	ـر مطفٍ وإن علَت في اتقاد
والثريا رهينةٌ بافتراق الشم	ـل حتى تُعدُّ في الأفراد
فليكن للمحسّن الأجل الممد	ودُ رغمًا لآنف الحساد
وليطب عن أخيه نفسًا	وأبناء أخيه جرائحِ الأكباد
وإذا البحر غاض عني ولم	أروَ فلا رِيّ بادّخار الثِّماد
كل بيت للهدم ما تبتني الورقا	ء والسيد الرفيع الهماد
والفتى ظاعنٌ ويكفيه ظل السد	ر.. ضربَ الأطناب والأوتاد
بان أمر الإله واختلف النا	سُ فداع إلى ضلال وهاد
والذي حارت البرية فيه	حيوان مستحدث من جماد
واللبيب اللبيب من ليس يغـ	ـترُّ بكونٍ مصيره للفساد

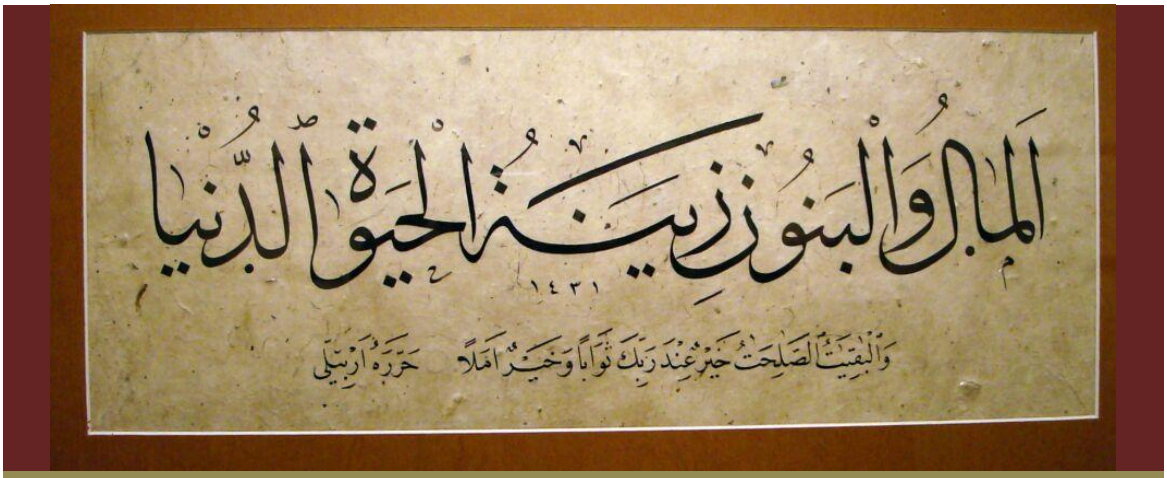

عمر الخيام

شاعر الخمر والعدم

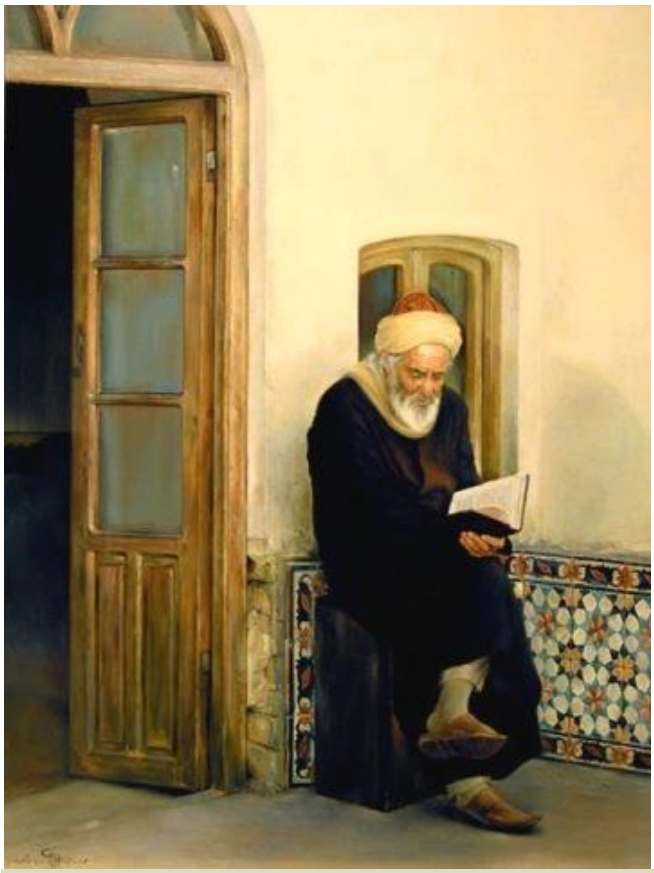

ومن أشهر من رأى في الحياة وتصاريف القدر وسلوك الناس نوع عبثية، وتمرد على طريقته الخاصة بالاستباحة، والاستغراق في الخمر واللهو: الشاعر والفيلسوف الفارسي عمر الخيام، الذي كتب رباعيات تسابق لترجمتها لفيف من الشعراء الكبار، وتبارى في كتابتها وتصويرها وزخرفتها عدد كبير من الخطاطين والمزخرفين، وهي حافلة بالأسئلة عن الكينونة والوجود والإنسان والقدر والمصير والجبر والاختيار، وغنيت بأكثر من صوت، وكان من أشهر من ترجموها: البريطاني إدوارد فيتزجيرالد، وأحمد رامي،

والعقاد، وعبد الرحمن شكري، والمازني، وأحمد زكي أبو شادي، وأحمد الصافي النجفي، وجميل صدقي الزهاوي، وآخرون.. يقول الخيام فيها(ترجمة أحمد رامي):

سمعتُ صوتًا هاتفًا في السّحَر نادى مِن الحانِ: غُفاة البشَر
هبُّوا املؤوا كأس الطلى قبَل أن تَفعم كأس العمر كف القدَر

***

أحسُّ في نفسي دبيب الفناء ولم أصب في العيشِ إلاّ الشقاء
يا حسرتا إن حان حيني ولم يتح لفكري حل لغز القضاء

***

أفق وهات الكأس أنعم بها واكشف خفايا النفس مِن حُجبها
ورو أوصالي بها قبلما يُصاغ دن الخمَر من تربها

***

تروح أيامي ولا تغتدي كما تهب الريح في الفدفدِ
وما طويت النفس همًّا على يومين: أمس المنقضى والغد

***

غد بظهر الغيب واليوم لي وكم يخيب الظن في المقبلِ
ولست بالغافلِ حتى أرى جمال دنياي ولا أجتلي

***

سمعت في حلمي صوتًا أهاب ما فتق النوم كمام الشباب
أفق فإن النوم صنو الردى واشرب فمثواك فراش التراب

***

قد مزق البدر ستار الظلام فاغنم صفا الوقت وهات المدام
واطرب فإن البدر مِن بعدنا يسري علينا في طباق الرغام

***

سأنتحي الموت حثيث الورود وينمحي اسمي من سجِل الوجود
هات اسقنيها يا منى خاطري فغاية الأيام طول الهجود

***

هات اسقنيها أيهذا النديم أخضب مِن الوجه اصفرار الهموم
وإن أمت فاجعل غسولي الطلى وقدّ نعشي من فروع الكروم

***

إن تُقتلع مِن أصلها سُرحتي وتصبح الأغصان قَد جفت
فصغ وعاء الخمر مِن طينتي واملأهُ تسرِ الروح في جثتي

رباعية بالديواني الحر للخطاط السوري عدنان الشيخ عثمان

لبست ثوب العيش لم أُستشر وحرت فيه بين شتى الفكر
وسوف أنضو الثوب عني ولم أُدرك لماذا جئت، أين المقر

***

نمضي وتبقى العيشة الراضية وتنمحي آثارنا الماضية
فقَبل أن نَحيا ومن بعدنا وهذه الدنيا علَى ما هيه

***

طوت يد الأقدار سفر الشباب وصوحت تلكَ الغصون الرطاب
وقد شدا طير الصبا واختفى متى أتى.. يا لهفا.. أين غاب

***

الدهر لا يعطي الذي نأمل وفي سبيل اليأس ما نَعمل
ونحن في الدنيا على همها يسُوقنا حادي الردى المعجل

***

أفق خفيف الظل هذا السحر وهاتها صرفا وناغ الوتر
فما أطال النوم عمرًا ولا قصر في الأعمار طول السهر

***

اشرب فمثواك التراب المهيل بلا حبيب مؤنسٍ أو خليل
وانشق عبير العيش في فجره فليس يزهو الورد بعد الذبول

***

كم آلم الدهر فؤادًا طعين وأسلم الروح ظعين حزين
وليس ممن فاتنا عائدٌ أسأله عن حالة الراحلين

***

يا دهر أكثرت البلى والخراب وسُمت كل الناس سوء العذاب
ويا ثرى كم فيك من جوهرٍ يبين لو ينبَش هذا التراب

***

وكم توالى الليل بعد النهار وطال بالأنجم هذا المدار
فامش الهوينى إن هذا الثرى من أعين ساحرة الإحورار

***

أين النديم السمح أين الصبوح فقد أمضَّ الهم قلبي الجريح
ثلاثةٌ هن أحب المُنى كأس وأنغام ووجه صبيح

***

نفوسنا ترضى احتكام الشراب أرواحنا تفدى الثنايا العذاب
وروح هذا الدن نستله ونستقيهِ سائغًا مستطاب

***

يا نفس ما هذا الأسى والكدر قد وقع الإثم وضاع الحذر
هل ذاق حلو العفو إلا الذي أذنب والله عفا واغتفر!؟

***

نلبس بين الناس ثوب الرياء ونحن في قبضة كف القضاء
وكم سعينا نرتجي مهربًا فكان مسعَانَا جميعًا هباء

***

لم تفتحَ الأنفس باب الغيوب حتى تَرى كيف تسام القلوب
ما أتعس القلبَ الذي لم يكد يلتام حتى أنكأته الخطوب

***

عامل كأهليك الغريب الوفي واقطع من الأهل الذي لا يفي
وعف زلالًا ليسَ فيه الشفا واشرب زعاف السم لو تشتفي

***

أحسن إلى الأعداء والأصدقاء فإنما أنس القلوب الصفاء
واغفر لأصحابكَ زلاتهم وسامح الأعداء تَمح العداء

***

عاشر من الناسِ كبار العقول وجانب الجهال أهل الفضول

واشرب نقيع السم من عاقلٍ واسكب على الأرضِ دواء الجهول

***

يا تارك الخمر لماذا تلوم دعني إلى ربي الغفور الرحيم

ولا تفاخرني بهجر الطلى فأنت جان في سواها أثيم

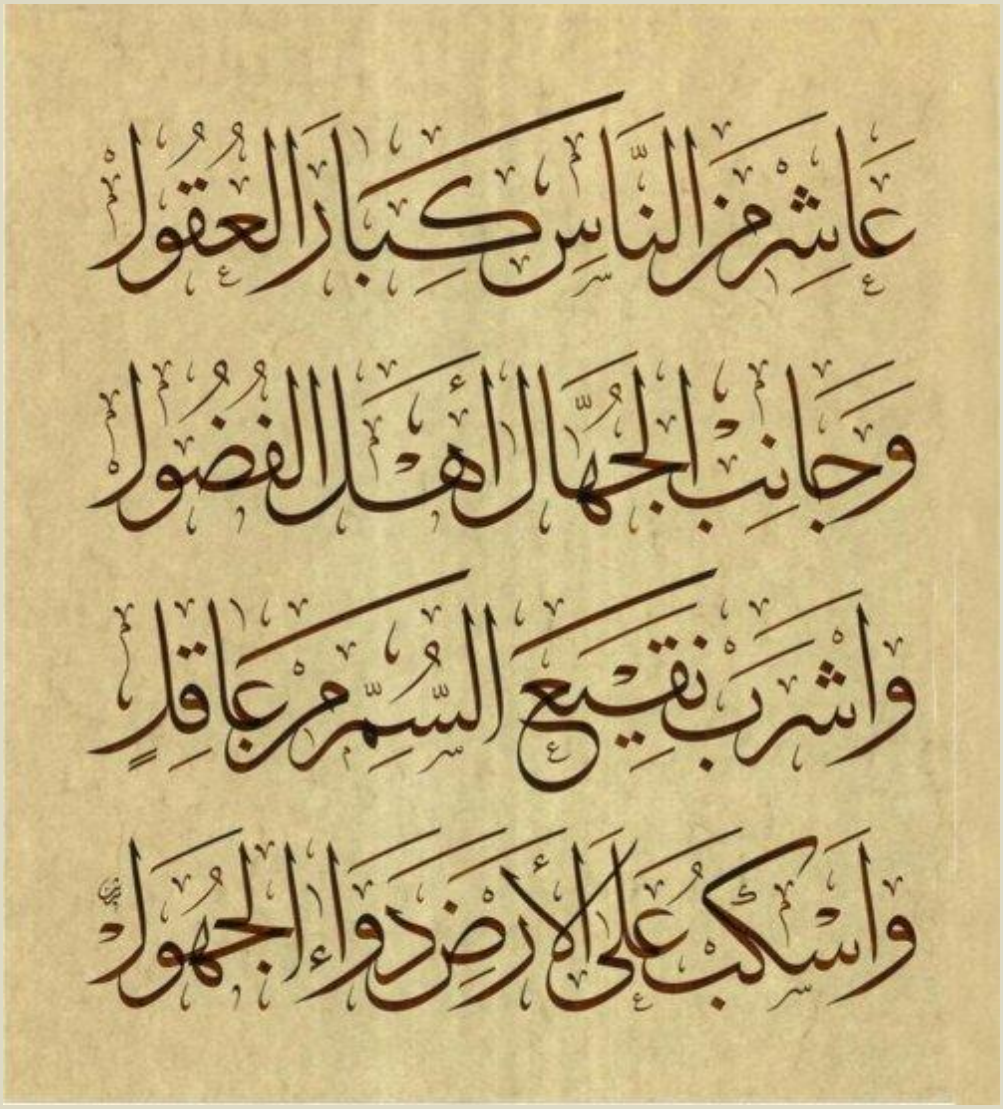

قطعة بالثلث للخطاط المصري شيرين عبد الصابر

أطفئ لظى القلب ببرد الشراب فإنما الأيام مثل السحَاب
وعيشنا طيف خيالٍ، فنل حظكَ منه قبل فوت الشباب

***

بستان أيامك نامي الشجر كيف لا تقطف غض الثمَر
اشرب فهذا اليوم إن أدبرت به الليالي لم يعده القدر

***

جادت بساط الروض كف السحَاب فنزه الطرف وهات الشراب
فهذه الخضرة من بعدنا تنمو على أجسادنا في التراب

***

وإن توافِ العشب عند الغدير وقَد كسا الأرض بساطًا نضير
فامش الهوينى فوقه؛ إنه غذته أوصال حبيب طرير

***

يا نَفس قد آدك حمل الحزن يا روح مقدور فراق البدن
اقطف أزاهير المنى قبل أن يجف من عيشك غض الفنن

***

يحلو ارتشاف الخمَر عندَ الربيع ونشرُ أزهار الروابي يضوع
وتعذّب الشكوى إلى فاتنٍ علَى شفا الوادي الخصيب الينيع

***

فلا تَتب عن حسو هذا الشراب فإنما تندم بعد المتاب
وكيف تصحو وطيور الربى صداحة والروض غض الجناب

***

زخارف الدُنيا أساس الألم وطالب الدنيا نديم الندم
فكن خلي البال من أمرها فكل ما فيها شقاء وهم

***

وأسعد الخلق قليل الفضول من يهجر الناس ويرضى القليل
كأنه عنقاء عند السها لا بومة تنعب بين الطلول

***

من يحسب المال أحب المنى ويزرع الأرض يريد الغنى
يفارق الدنيا ولم يختبر في كده أحوال هذى الدنى

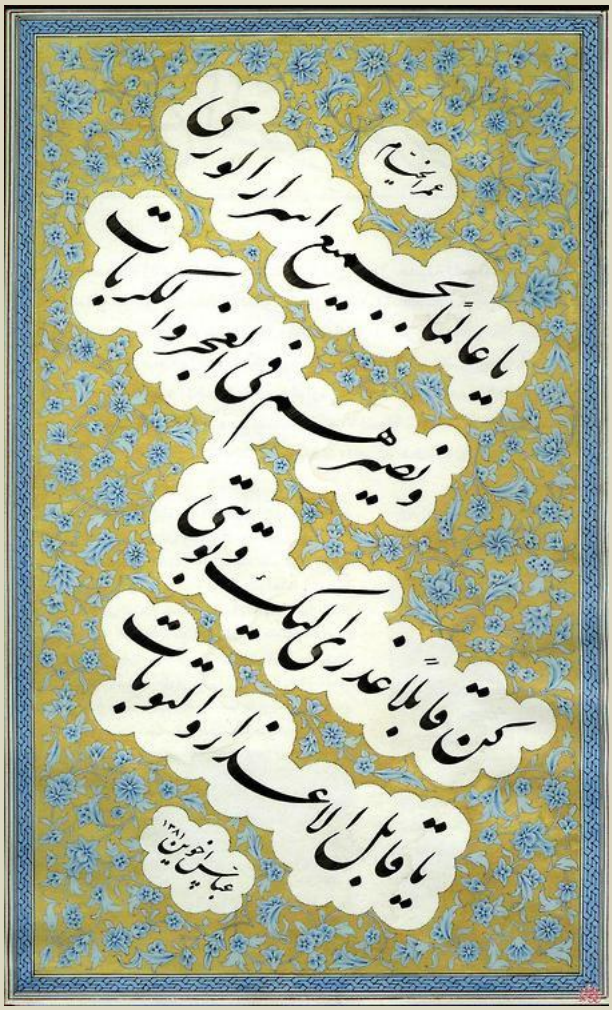

قطعة بخط التعليق للخطاط الإيراني عباس أخوين

سرى بجسمي الغض ماء الفناء وسار في روحي لهيب الشقاء
وهمت مثل الريحَ حتى ذرت تراب جسمي عاصفات القضاء

***

يا من يحار الفهم في قدرتك وتطلب النَفس حمى طاعتك
أسكرني الإثم ولكنني صحوت بالآمال في رحمتك

***

لم أشرب الخمر ابتغاء الطرب ولا دعتني قلة في الأدب
لكن إحساسي نزاعًا إلى إطلاق نفسي كان كل السبب

***

أفنيت عمري في اكتناه القضاء وكشف ما يحجبه في الخفاء
فلم أجد أسراره وانقضى عمري وأحسست دبيب الفناء

***

أطال أهل الأنفس الباصرة تفكيرهم في ذاتك القادرة
ولم تزل يا رب أفهامهم حيرى كهذى الأنجم الحائرة

***

لم يجن شيئًا من حياتي الوجود ولن يضير الكون أني أبيد
واحيرتي ما قال لي قائلٌ ماذا اشتعال الروح! كيف الخمود؟

***

إذا انطوى عيشي وحان الأجل وسد في وجهي باب الأمل
قر حباب العمر في كأسه فصبها للموت ساقي الأزل

***

إن لم أكن أخلصت في طاعتك فإنني أطمع في رحمتك
وإنما يشفع لي أنني قَد عشت لا أشرك في وحدتك

***

يا رب هيئ سبب الرزق لي ولا تذقني منة المُفضلِ

وأبقني نشوان كيما أرى روحي نَجت مِن دائها المعضل

***

أفنيت عمري في ارتقاب المُنى ولم أذق في العيشِ طعم الهنا
وإنني أُشفق أن ينقضي عمري وما فارقت هذا العنا

***

لم يبرح الداء فؤادي العليل ولم أنل قصدي وحان الرحيل
وفات عمري وأنا جاهل كتاب هذا الدهر جم الفصول

صفا لكَ اليوم ورق النسيم وجال في الأزهارِ دمع الغيوم
ورجع البلبل ألحانه يقول هيا اطرب وخل الهموم

***

الدرع لا تمنع سهم الأجل والمال لا يدفعه إن نزل
وكل ما في عيشنا زائل لا شيء يبقى غير طيب العمل

من ترجمة فيتزجيرالد للرباعيات

قطعة بالثلث للخطاط المصري شيرين عبد الصابر

إبراهيم ناجي

شاعر الأطلال

ومن أشهر من رأوا الحياة تجربة وجيعة أليمة، تعاقب بنيها، وتحرمهم لحظات السعادة نكاية بهم، فلا يحصلون منها على كبير طائل: الشاعر المصري إبراهيم ناجي رحمه الله(1898–1953) وقد اشتهرت قصيدته الأطلال شهرة واسعة بعد أن غنيت، وهي طويلة، أثبتها بطولها..

يقول فيها:

يا فؤادي، رحم الله الهوى	كان صرحًا من خيال فهوى
اسقني واشرب على أطلاله	وارو عني.. طالما الدمع روى
كيف ذاك الحب أمسى خبرًا	وحديثًا من أحاديث الجوى
وبساطًا من ندامى حلم	هم تواروا أبدًا، وهو انطوى
***	
يا رياحًا، ليس يهدا عصفها	نضب الزيت ومصباحي انطفا
وأنا أقتات من وهم عفا	وأفي العمر لناس ما وفى
كم تقلبت على خنجره	لا الهوى مال، ولا الجفن غفا
وإذا القلب – على غفرانه –	كلما غار به النصل عفا
***	
يا غرامًا كان مني في دمي	قدرًا كالموت.. أو في طعمه
ما قضينا ساعة في عرسه	وقضينا العمر في مأتمه
ما انتزاعي دمعة من عينه	واغتصابي بسمة من فمه
ليت شعري أين منه مهربي!	أين يمضي هارب من دمه؟

***	
لست أنساك وقد ناديتني	بفم عذب المناداة.. رقيق
ويد تمتد نحوي، كيد من	خلال الموج مدت لغريق
آه يا قبلة أقدامي، إذا	شكت الأقدام أشواك الطريق
وبريقًا يظمأ الساري له	أين في عينيك ذياك البريق؟
***	
لست أنساك، وقد أغريتني	بالذرى الشم فأدمنت الطموح
أنت روح في سمائي، وأنا	لك أعلو، فكأني محض روح
يا لها من قمم كنا بها	نتلاقى.. وبسرينا نبوح
نستشف الغيب من أبراجها	ونرى الناس ظلالًا في السفوح
***	
أنت حسن في ضحاه لم يزل	وأنا عندي أحزان الطفل
وبقايا الظل من ركب رحل	وخيوط النور من نجم أفل
ألمح الدنيا بعيني سئم	وأرى حولي أشباح الملل
راقصات فوق أشلاء الهوى	معولات فوق أجداث الأمل
***	
ذهب العمر هباء، فاذهبي	لم يكن وعدك إلا شبحا
صفحة قد ذهب الدهر بها	أثبت الحب عليها.. ومحا
انظري ضحكي ورقصي فرحا	وأنا أحمل قلبًا ذبحا
ويراني الناس روحًا طائرًا	والجوى يطحنني طحن الرحى
***	

كنت تمثال خيالي، فهوى	المقادير أرادت.. لا يدي
ويحها، لم تدر ماذا حطمت	حطمت تاجي، وهدت معبدي
يا حياة اليائس المنفرد	يا يبابًا ما به من أحد
يا قفارًا لافحات ما بها	من نجيّ، يا سكون الأبد
***	
أين من عيني حبيب ساحر	فيه نبل وجلال وحياء!؟
واثق الخطوة يمشي ملكًا	ظالم الحسن، شهي الكبرياء
عبق السحر كأنفاس الربى	ساهم الطرف كأحلام المساء
مشرق الطلعة.. في منطقه	لغة النور، وتعبير السماء
***	
أين مني مجلس أنت به	فتنة تمت سناء وسنى!؟
وأنا حب وقلب ودم	وفراش حائر منك دنا
ومن الشوق رسول بيننا	ونديم قدم الكاس لنا
وسقانا، فانتفضنا لحظة	لغبار آدمي مسنا!
***	
قد عرفنا صولة الجسم التي	تحكم الحي، وتطغى في دماه
وسمعنا صرخة في رعدها	سوط جلاد، و(تعذيب إله)
أمرتنا، فعصينا أمرها	وأبينا الذل أن يغشى الجباه
حكم الطاغي، فكنا في العصاة	وطردنا خلف أسوار الحياة
***	
يا لمنفيين ضلا في الوعور	دميا بالشوك فيها والصخور
كلما تقسو الليالي، عرفا	روعة الآلام في المنفى الطهور

طردا من ذلك الحلم الكبير	للحظوظ السود، والليل الضرير
يقبسان النور من روحيهما	كلما قد ضنت الدنيا بنور
***	
أنت قد صيرت أمري عجبا	كثرت حولي أطيار الربى
فإذا قلت لقلبي ساعة	قم نغرد لسوى ليلى أبى
حجب تأبى لعيني مأربا	غير عينيك، ولا مطّلبا
أنت من أسدلها، لا تدعي	إنني أسدلت هذي الحجبا
***	
ولكم صاح بي اليأس انتزعها	فيرد القدر الساخر: دعها
يا لها من خطة عمياء، لو	أنني أبصر شيئًا لم أطعها
ولي الويل إذا لبيتها	ولي الويل إذا لم أتبعها
قد حنت راسي، ولو كل القوى	تشتري عزة نفسي لم أبعها
***	
يا حبيبًا زرت يومًا أيكه	طائر الشوق، أغني المي
لك إبطاء الدلال المنعم	وتجني القادر المحتكم
وحنيني لك يكوي أعظمي	والثواني جمرات في دمي
وأنا مرتقب في موضعي	مرهف السمع لوقع القدم
***	
قدم تخطو، وقلبي مشبه	موجة تخطو إلى شاطئها
أيها الظالم: بالله إلى كم	أسفح الدمع على موطئها
رحمة أنت، فهل من رحمة	لغريب الروح أو ظامئها
يا شفاء الروح، روحي تشتكي	ظلم آسيها، إلى بارئها

***	
أعطني حريتي أطلق يديّ	إنني أعطيت ما استبقيت شيّ
آه من قيدك أدمى معصمي	لم أبقيه، وما أبقى علي!؟
ما احتفاظي بعهود لم تصنها	وإلام الأسر، والدنيا لدي؟!
ها أنا جفت دموعي فاعف عنها	إنها قبلك لم تبذل لحي!
***	
وهب الطائر من عشك طارا	جفت الغدران، والثلج أغارا
هذه الدنيا قلوب جمدت	خبت الشعلة، والجمر توارى
وإذا ما قبس القلب غدا	من رماد، لا تسله كيف صارا
لا تسل واذكر عذاب المصطلي	وهو يذكيه فلا يقبس نارا
***	
لا رعى الله مساء قاسيًا	قد أراني كل أحلامي سدى
وأراني قلب من أعبده	ساخرًا من مدمعي سخر العدا
ليت شعري، أي أحداث جرت	أنزلت روحك سجنًا موصدا!
صدئت روحك في غيهبها	وكذا الأرواح يعلوها الصدا
***	
قد رأيت الكون قبرًا ضيقا	خيم اليأس عليه والسكوت
ورأت عيني أكاذيب الهوى	واهيات كخيوط العنكبوت
كنت ترثي لي، وتدري ألمي	لو رثى للدمع تمثال صموت
عند أقدامك دنيا تنتهي	وعلى بابك آمال تموت
***	
كنت تدعوني طفلًا كلما	ثار حبي، وتندت مقلي

ولك الحق، لقد عاش الهوى	في طفلًا، ونما لم يعقل
وأرى الطعنة إذ صوبتها	فمشت مجنونة للمقتل
رمت الطفل، فأدمت قلبه	وأصابت كبرياء الرجل
***	
قلت للنفس وقد جزنا الوصيدا	عجلي لا ينفع الحزم وئيدا
ودعي الهيكل شبت ناره	تأكل الركع فيه والسجودا
يتمنى لي وفائي عودة	والهوى المجروح يأبى أن نعودا
لي نحو اللهب الذاكي به	لفتة العود إذا صار وقودا
***	
لست أنسى أبدًا ساعة في العمر	تحت ريح صفقت لارتقاص المطر
نوحت للذكرى وشكت للقمر	وإذا ما طربت عربدت في الشجر
هاك ما قد صبت الريح بأذن الشاعر	وهي تغري القلب إغراء الفصيح الفاجر
أيها الشاعر تغفو تذكر العهد وتصحو	وإذا ما التام جرح جد بالتذكار جرح
فتعلم كيف تنسى وتعلم كيف تمحو	أو كل الحب في رأيك غفران وصفح؟
***	
هاك فانظر عدد الرمل قلوبًا ونساء	فتخير ما تشاء ذهب العمر هباء
ضل في الأرض الذي ينشد أبناء السماء	أي روحانية تعصر من طين وماء؟
***	
أيها الريح أجل، لكنما	هي حبي وتعلاتي ويأسي
هي في الغيب لقلبي خلقت	أشرقت لي قبل أن تشرق شمسي
وعلى موعدها أطبقت عيني	وعلى تذكارها وسدت راسي
***	

جنت الريح ونادته شياطين الظلام	أختامًا! كيف يحلو لك في البدء الختام؟
يا جريحا أسلم الجرح حبيبًا نكأه	هو لا يبكي إذا الناعي بهذا نبأه
أيها الجبار: هل تصـــرع من أجل امرأة؟	
***	
يا لها من صيحة ما بعثت	عنده غير أليم الذكر
أرقت في جنبه فاستيقظت	كبقايا خنجر منكسر
لمع النهر.. وناداه له	فمضى منحدرًا للنهر
ناضب الزاد وما من سفر	دون زاد غير هذا السفر
***	
يا حبيبي كل شيء بقضاء	ما بأيدينا خلقنا تعساء
ربما تجمعنا أقدارنا ذات	يوم بعدما عز اللقاء
فإذا أنكر خل خله	وتلاقينا لقاء الغرباء
ومضى كل إلى غايته	لا تقل شئنا، وقل لي الحظ شاء
***	
يا مغني الخلد، ضيعت العمر	في أناشيد تغنى للبشر
ليس في الأحياء من يسمعنا	ما لنا لسنا نغني للحجر
للجمادات التي ليست تعي	والرميمات البوالي في الحفر
غنها، سوف تراها انتفضت	ترحم الشادي وتبكي للوتر
***	
يا نداء كلما أرسلته	رد مقهورًا وبالحظ ارتطم
وهتافًا من أغاريد المنى	عاد لي وهو نواح وندم
رب تمثال جمال وسنا	لاح لي والعيش شجو وظلم

ارتمى اللحن عليه جاثيًا	ليس يدري أنه حسن أصم
***	
هدأ الليل ولا قلب له	أيها الساهر يدري حيرتك
أيها الشاعر خذ قيثارتك	غن أشجانك واسكب دمعتك
رب لحن رقص النجم له	وغزا السحب وبالنجم فتك
غنه حتى ترى ستر الدجى	طلع الفجر عليه فانهتك
***	
وإذا ما زهرات ذعرت	ورأيت الرعب يغشى قلبها
فترفق واتئد واعزف لها	من رقيق اللحن، وامسح رعبها
ربما نامت على مهد الأسى	وبكت مستصرخات ربها
أيها الشاعر، كم من زهرة	عوقبت، لم تدر يوما ذنبها!

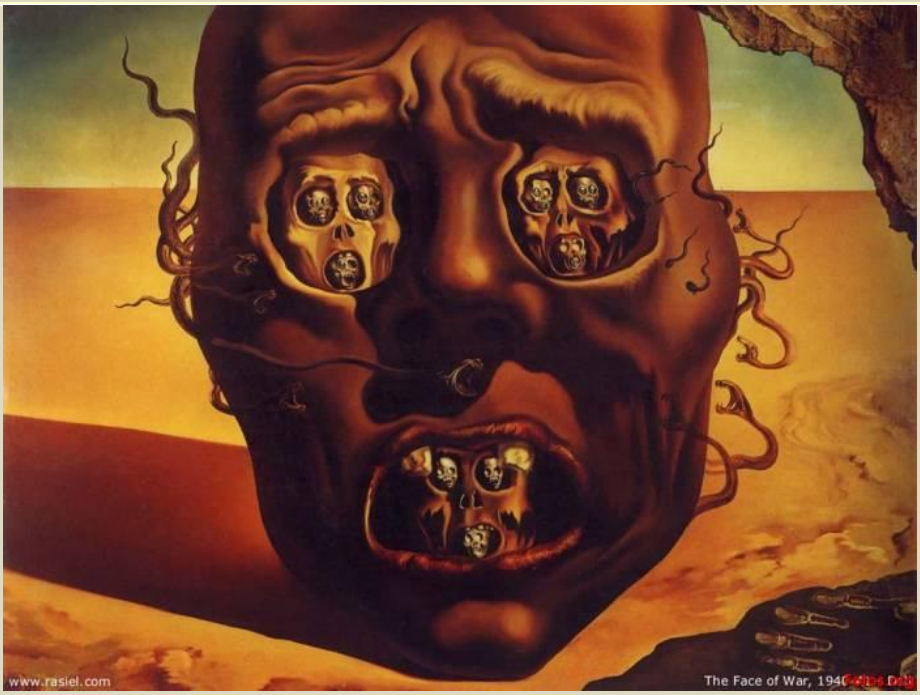

ملخص البحث:

لو أنك عملت سنة مواصلا الليل بنهار، باذلا جهدا خارقا ثم قيل لا أجر لك؟

لو أنك بنيت برجًا سامقًا ضخمًا ثم انهار أمام عينيك؟

لو ظللت تدخر مالًا مدة عشرين أو ثلاثين أو خمسين سنة، ثم سرق منك جميعه؟

هذه أشبه – قليلا – بضياع عملك وطاعاتك هباء وسدى، حيث تنتظر جداوها وثمرتها!

وهذه هو حال الأعمال الطيبة للكفار: والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة...../

وقدمنا إلى ما عملوا/ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا/ وجوه يومئذ خاشعة. عاملة ناصبة

الإنسان قد يفعل ذلك بطاعاته وحسناته التي عملها طوال حياته:

ورد جذر ح ب ط في المصحف الشريف ست عشرة مرة..

الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات، كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب!

الله تعالى يحذرنا: يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم/ وأطيعوا الله ورسوله، ولا تنازعوا فتفشلوا، وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين

كان إذا سافر قال: اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال!/

من أسباب حبوط العمل:

- الردة:(ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)/(إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم).
- الكفر:(ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين).

- **الشرك:(لئن أشركت ليحبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين).**
- **البدعة: من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**
- **الاستهزاء بالدين:(ولئن سألتهم ليقولن: إنما كنا نخوض ونلعب، قل: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون* لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم....).**
- **التكذيب بآية أو باليوم الآخر:(والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم).**
- **إيثار الدنيا على الآخرة:(من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون)**
- **إيذاء الأنبياء والدعاة والمصلحين:(إن الذين يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم* أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وما لهم من ناصرين).**
- **الشاهد على نفسه بالكفر:(ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون* إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله، واليوم الآخر، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، ولم يخش إلا الله؛ فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين)!**
- **الخوض في الدنيا والتشبه بالهالكين:(كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة، وأكثر أموالًا وأولادًا، فاستمتعوا بخلاقهم، فاستمتعتم بخلاقكم، كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم، وخضتم كالذي خاضوا، أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك هم الخاسرون).**
- **الفسدة الذين يحسبون أنهم على خير: قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالًا* الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا).**

- رفع الصوت حقيقة ومعنى على رب العالمين تبارك وتعالى، أو نبيه صلى الله عليه وسلم:(يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض؛ أن تحبط أعمالكم، وأنتم لا تشعرون).
- المعوقين والمثبطين للأمة:(قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلًا* أشحة عليكم، فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك، تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد، أشحة على الخير، أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم، وكان ذلك على الله يسيرًا)!
- كراهية ما أنزل الله تعالى:(ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم)!
- ترك الطاعة والانقياد:(يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم
- ومن السنة: إتيان العرافين:(من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوم) مسلم/ من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد الترمذي
- اقتناء الكلب إلا كلب ماشية أو زرع أو صيد، كما صح في السنة المشرفة.
- (ثلاثة لا يقبل الله منهم صرفًا ولا عدلًا: عاق لوالديه ومنان وكذّاب بالقدر) رواه أحمد
- (ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رءوسهم شبرا: رجل أم قوما وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان
- (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال.....
- الرياء: جاء رجل فقال: يا رسول الله أرأيت رجلًا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله؟ قال: لاشيء له. فأعاده عليه ثلاثًا كل ذلك يقول: لاشيء له. ثم قال:(إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتغي به وجهه/ ولكن قاتلت ليقال
- الذي ينتهك المحارم إذا خلا: لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا يجعلها الله – عز وجل – هباءً منثورًا. قال ثوبان: يا رسول الله

صفهم لنا، جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل ما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها

- الحسد: إياكم والحسد
- المن والأذى:(يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) / ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم)) كررها ثلاثًا قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال:((المسبل إزاره، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب
- التألي على الله تعالى: إن رجلًا قال: والله لا يغفر الله لفلان وإن الله تعالى قال:((من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان؟ قد غفرت لفلان وأحبطت عملك
- الربا: لما أخبرت بأن زيد بن أرقم باع عبدًا بثمانمائة نسيئة واشتراه بستمائة نقدًا قالت للتي أخبرتها: أبلغي زيدًا أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا أن يتوب .
- أكل الحرام: أتدرون من المفلس؟. قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا،وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقعد فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقتص ما عليه؛ أخذ من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه، ثم طرح في النار!
- العشار والبغي:(تفتح أبواب السماء نصف الليل، فينادي منادٍ: هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى، هل من مكروب فيفرج عنه، فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله عز وجل له، إلا زانية تسعى بفرجها أو عشَّارًا).
- ترك الصلاة: بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة/ أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله..
- ترك صلاة العصر خاصة: من ترك صلاةَ العصرِ فقد حَبِطَ عملُه..

صور تعبيرية عن حبوط العمل

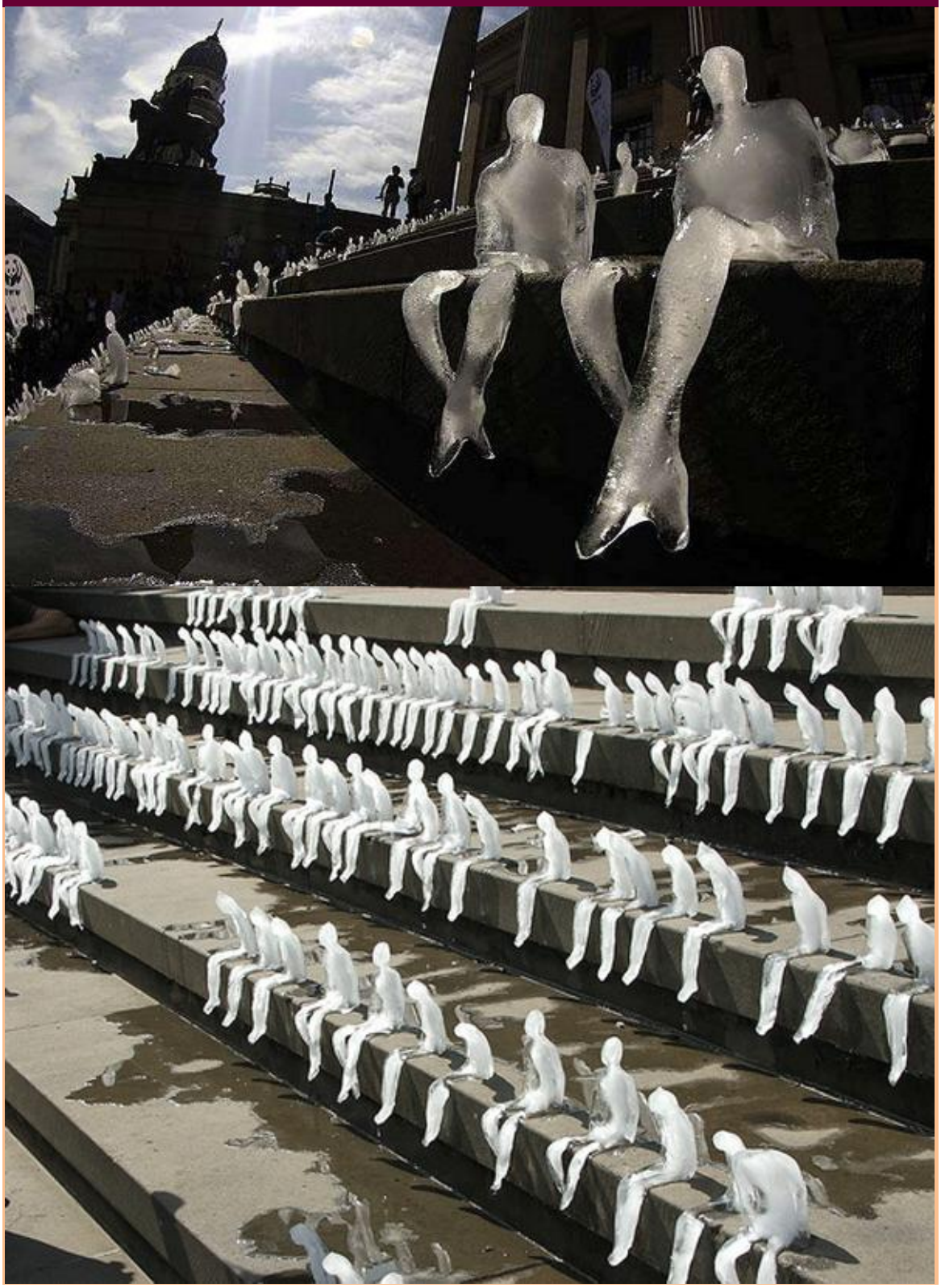

speechless

DISAPPOINTMENT
VALLEY

USELESS
[but expensive]

W	A	S	T	E	D
E	F	F	O	R	T

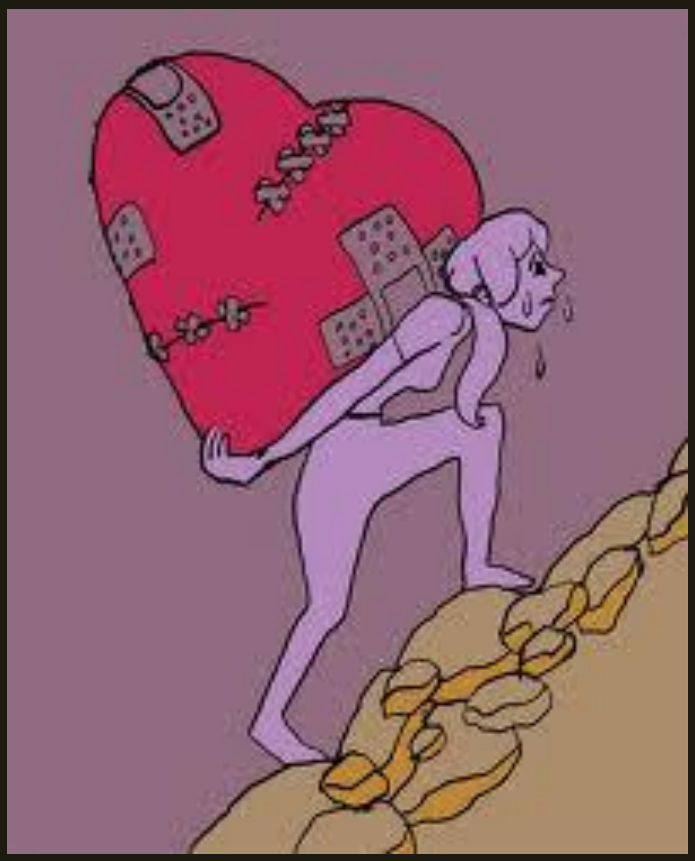

KALEM
GÜZELİ
mobda3.net

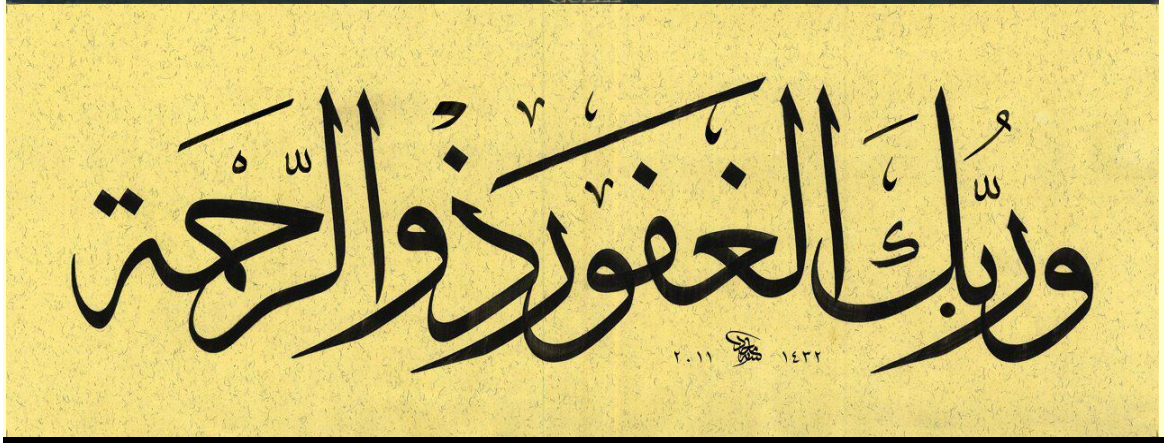

mobda3.net

الفهرس:

الصفحة	العنوان
4	المقدمة
8	مدخل تمهيدي
12	هل يحبط العمل فعلًا أم هو محض افتراض؟ آيات مروعة وحسرات مفزعة
13	الصم البكم العمي: المنافقون الأغبياء المتذاكون
16	الرماد في اليوم العاصف
17	الهباء المنثور
18	السراب اللامع بأرض قيعة.. وحصاد الخيبة
20	الحمقاء التي تنقض غزلها بعد إبرامه
22	وآه من البدعة محبطة العمل
23	وبالحسرة الظلمة منتهكي حقوق المسلمين
25	مدخل لغوي
27	تمهيد
28	جذر: (ح ب ط) في القرآن الكريم، ودلالاته
32	جذر: (ب ط ل) ودلالاته
35	نظرات في الآيات
34	الكفر من أسباب حبوط الأعمال الصالحة للكفار
38	الشرك من أسباب حبوط الأعمال الصالحة للكفار
42	الشهادة على النفس بالكفر، أو الشرك، من محبطات الأعمال
45	النفاق والكيد للمؤمنين وسبهم محبطات للأعمال الصالحة
49	الردة عن الإسلام من محبطات الأعمال

52	قتل الأنبياء والدعاة والمصلحين من محبطات الأعمال
55	الاستكبار والعناد واتباع الغي، من محبطات الأعمال
57	إيثار الدنيا على الآخرة من محبطات الأعمال
58	التشبه بأعداء الله تعالى، وإيثار العاجلة على الآجلة من المحبطات
63	الكفر باليوم الآخر ولقاء الله تبارك وتعالى من محبطات الأعمال
67	التقدم على الكتاب والسنة وتأخيرهما من محبطات الأعمال
75	النفاق القلبي والإعلامي والسلوكي من محبطات الأعمال
78	كراهة كتاب الله تعالى.. أو سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم
81	الصد عن سبيل الله تعالى ومشاقة أهل الحق من المحبطات
84	حبوط الأعمال في السنة المشرفة
85	الحكم بالحبوط توقيفي يقضي به الله تعالى ورسوله الأعظم
87	النية وصلاح القلوب أساس في القبول أو الحبوط
87	لزوم الاهتمام بأولويات الشريعة حتى لا تحبط الأعمال
88	هناك دومًا من يحذرون الناس من محبطات الأعمال
88	لا يجوز أن نفعل ما يبطل أو يحبط الأعمال
89	إرادة غير وجه الله تعالى من محبطات الأعمال
90	رفع الصوت والتقديم بين يديه صلى الله عليه وسلم من محبطات الأعمال
91	ترك صلاة العصر من محبطات الأعمال
91	إتيان الدجاجلة والعرافين من محبطات الأعمال
92	اقتناء الكلاب من محبطات الأعمال
93	انتهاك المحارم في الخلوات من المحبطات
94	إيذاء العباد من المحبطات
96	محبطات أخرى للأعمال

96	ثلاثة لا يستجيب الله تعالى دعاءهم
98	وثلاثة رجال
100	أحاديث ثلاثية أخرى فيها زيادات
102	الذين لا يُقبل منهم صرف ولا عدل، ولا دعاء ولا رجاء
104	العقوق والمن والتكذيب بالقدر موانع من الإجابة
106	التنصل من الأب، والانتساب لغيره من الموانع
107	المبتدع في المدينة المنورة أو من يحمي المبتدعة
108	الذي يستخدم معسول الكلام لصرف وجوه الناس إليه
110	المسلم الذي يفرح لأنه قتل مسلمًا، مردود دعاؤه
113	مدمن الخمر المتردد عليها لا تقبل صلاته أربعين يومًا
114	تنويعات أدبية عن الخيبة وحبوط الجهد
115	العبثية والعدمية.. الحبوط في الدنيا قبل الآخرة
118	الأرض الخراب
121	أسطورة سيزيف
123	سيزيفيات في بعض روايات المعراج
129	تراثيات عن حبوط العمل
130	أول الناس معاقبة في الآخرة بعد حبوط عملهم
131	كالحمار في الرحى
132	حكاية مدعم
133	خفا حنين
135	أبو العلاء المعري: شاعر الإحباطات
137	الخيام: شاعر الخمر والعدم
149	إبراهيم ناجي: شاعر الأطلال

ملخص البحث	157
صور تعبيرية عن حبوط العمل	160
من أعمال المؤلف	173

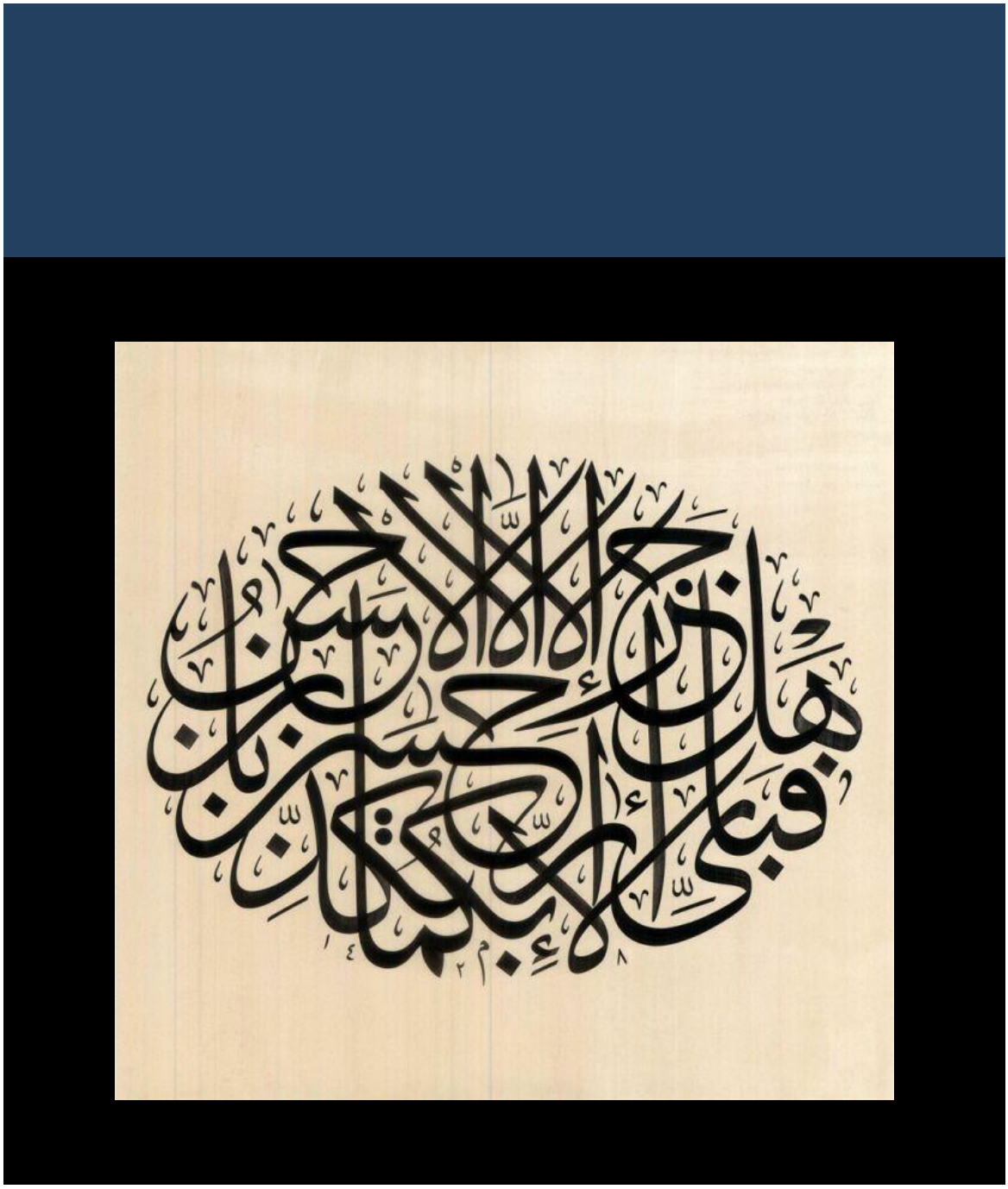

من أعمال المؤلف.. أبجديًّا:	
رقم	اسم الكتاب أو البحث
1.	إسلاميون ثورجية
2.	الأب في الكتاب والسنة (الأسرة)
3.	الإعلام الإسلامي في مواجهة الغزو الإعلامي الغربي(الإعلام)
4.	الإفك والتزوير في الإعلام المعاصر(الإعلام)
5.	الألوهية في العقائد الشعبية (في العقيدة)
6.	الأندلسي (من أدب الرحلات وفكرها)
7.	الإيثار في عالم نذل (أخلاق معرضة للانقراض)
8.	البشائر في الكتاب والسنة
9.	التبيان في آداب حملة القرآن (تحقيق)
10.	التشبه والمتشبهون
11.	النلفزيون: السم اللذيذ (الإعلام)
12.	الرق وما ملكت اليمين (عرض صوري)
13.	العفة وأهل العفاف (أخلاق معرضة للانقراض)
14.	العنف الأسري (الأسرة)
15.	الغيرة في البيت النبوي الشريف (أخلاق معرضة للانقراض)
16.	القرضاوي شاعرًا (ترجمات/ أدب)
17.	الله تعالى في منظور الأديان (عرض صوري)
18.	المساجد وأهلها 1 (دعوة / فقه وأحكام)
19.	المساجد ذات الخصوصية 2 ((دعوة / فقه وأحكام)
20.	المرأة في الإسلام (الأسرة)

21.	المليحة في الخمار الشفتشي (أدب ساخر)
22.	أنا ألبي دليلي (أدب ساخر/ فكر)
23.	أيها المهتدي أحبك في الله (دعوة)
24.	المعارضات المعاصرة لبردة البوصيري (أدب)
25.	تقسيم مصر والعالم العربي: رؤية صادمة (تاريخ/ فكر)
26.	وهل في الإسلام حرية للرأي (فكر)
27.	حريص عليكم (سيرة شريفة)
28.	حقك وفوقه شوطة (أدب ساخر/ فكر)
29.	خطاطات معاصرات (فنون إسلامية)
30.	دعاة ومشاهير عرفتهم (تراجم/ دعوة)
31.	ديوان أحمد ياسين (شعر)
32.	ديوان الذئبة التائبة (شعر)
33.	ديوان زهرة (شعر)
34.	ديوان صلاة قلب (شعر)
35.	ديوان عذرًا يا سيد خلق الله (شعر)
36.	ديوان مراميات (شعر)
37.	رجال أثاروا جدلا (تراجم)
38.	رجل اسمه نرجس (أدب ساخر/ فكر)
39.	رمضان في تاريخ المستعين بالله البسيوني (تاريخ)
40.	زفتى التي في خاطري 1/ التبرعم (سيرة ذاتية)
41.	زفتى التي في خاطري 2 /الإيراق (سيرة ذاتية)
42.	ستر الله تعالى على عباده (أخلاق معرضة للانقراض)
43.	شيوخ ظرفاء (تراجم/ أدب ساخر)

44.	صفحات سود من تاريخ التعذيب (تاريخ/ مصور)
45.	طرائف وظرائف (أدب ومختارات)
46.	فقه الأذان (فقه وأحكام)
47.	فن قلة الأدب: الحرب على سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
48.	في ظل عرش الرحمن تبارك وتعالى (عقيدة)
49.	في فقه الواقع (دعوة)
50.	قال الراوي (تاريخ/ فقه الواقع)
51.	قراءة في السلفية المعاصرة (دعوة)
52.	قصيدة: اسكن فؤادي أو فجن (شعر)
53.	قصيدة: ياليل الصب ومعارضاتها (أدب)
54.	كتاب المحجوبين عن رؤية رب العالمين (عقيدة)
55.	كلام في الثورة (فكر/ تاريخ)
56.	لا إله إلا الله في عيون الخطاطين (فن إسلامي)
57.	لطوف: يسقط حكم العسكر (فنون/ تاريخ)
58.	لله يا زمري (دعوة)
59.	ماذا يريدون من المرأة (الأسرة والمرأة)
60.	محمد صلى الله عليه وسلم في أعمال اثنين من المستشرقين (سيرة وتاريخ)
61.	محمد صلى الله عليه وسلم في عيون الخطاطين 1/ صفاته (فن إسلامي)
62.	محمد صلى الله عليه وسلم في عيون الخطاطين 2/ (فن إسلامي)
63.	مسرحية الحراني (مسرح شعري)
64.	مسرحية الحرباء (مسرح شعري)
65.	ملائح المدائح (شعر/ أدب)
66.	من بدع القراء في المساجد (دعوة/ فقه وأحكام)

67.	من صور الحرب على الإسلام (تاريخ/ فقه الواقع)
68.	نسوات عديمات الأنوثة (المرأة والأسرة/ أدب ساخر)
69.	نظرات في سورة القدر (تفسير/ فقه واقع)
70.	نونية القرضاوي (أدب)
71.	وقال نسوة (المرأة والأسرة/ أدب ساخر)
72.	وكتب أخرى كثيرة